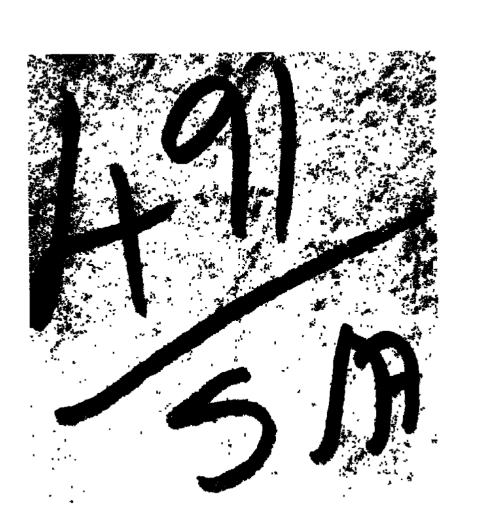


ثقافة الهند

المجلد ٢٤ العدد ٣ - ٤

١٩٧٣

مجلس الهند للروابط الثقافية

نيو دلهى

ان مجلس الهند للروابط الثقافيه منظمه حرة تحت وزارة الشئون الخارجيه للحكومه الهنديه، انشئت عام ١٩٥٠ لانشاء وتنميه الروابط الثقافيه والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الاخرى، وكجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافى بين الهند والبلدان الاخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات فى الانكليزيه "Indian Horizons" وفى العربيه "ثقافه الهند" وفى الفرنسيه "Rencontre Avec l' Inde" وفى الاسبانيه "Papeles de la India" كلها تصدر اربع مرات فى السنه، يصدر المجلس كذلك مجله مصورة "Cultural News from India" ويوزعها مجانا. وبدل الاشتراك السنوى لجميع المجلات مطبوع فى العمود المقابل. والمراسلات المتعلقه ببدل الاشتراك ودفع الثمن وبشئون الطباعه والنشر توجه الى:

The Editor,
Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan,
Indraprastha Estate,
New Delhi-1.

بدل الاشتراك

عدد واحد	سنويا	ثلاث سنوات
٣ روبيه هنديه	١٢ روبيه	٣٠ روبيه
£ 0·50	£ 2·00	£ 5·00
$ 1·50	$ 6·00	$ 15·00

نشرها وطبعها انعام رحمن، سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافيه، آزاد بهون، نيو دلهى ـ الهند. طبعت فى مطبعه آئى ايم ايچ، دلهى.

رئيس التحرير: البروفيسور السيد مقبول احمد

ثقافة الهند

المساهمون فى هذا العدد

يوغيش اتل : كاتب خبير بعلوم الاجتماع ومدير المجلس الهندى لابحاث العلوم الاجتماعية حاليا .

غارليند كينون : بحاث كاتب ، استاذ للآداب الانكليزية فى كلية الفنون الحرة بجامعة تيكساس .

يوس بيغبيدر : رجل الآداب ، معلم فى باريس .

اسوک مترا : ناقد ادبي ، مصنف ، المسجل العام للهند سابقا.

انيل بهاتى : الاستاذ المساعد للالمانية فى جامعة

: جواهر لال نهرو، ورئيس التحريرات لمجلة مدرسة اللغات الاجنبية.

اشوكا مترن : روائى ، كاتب القصص القصيرة فى اللغة التاملية.

ك. س. دوجل : مستشار فى هيئة التخطيط ، فائز جائزة اكاديمية الآداب ، شاعر ، مؤلف للمسرحيات والروايات والقصص القصيرة .

ب. و. سوبارايابا : مؤلف ، مؤرخ العلوم.

سدهير سونالكر : شاعر ، صحافى حر.

كيشو ملك : شاعر ونقاد للآداب والفن.

غيتا راجن : فنانة وناقدة الآداب.

سمن غبتا : طالبة سابقا فى ا. ج. اير فى لندن ، وتدرس الفلسفة حاليا فى جامعة دلهى.

غارلیند کینون

السیر ولیام جونس، اللغة والجمعیة الاسیویة

(الجزء الثانی)

ان تراسل جونس العلمی مع الافراد موضوع کبیر حتی یکاد یکون با با مستقلا فی حیاته . وبالاغفال عن بنکس لعلاقته الرسمیه بالجمعیه الملکیه ، لانذکر الا ثلاث مراسلات ، وکلها متعلقه بتأسیس جونس الجمعیه الاسیویه وارشادها . وفی ۲۰ دیسمبر ۱۷۸٤، قدم السیر جورج یونج ، کباحث شخصی لا کسکرتیر انجلیزی قوی للحرب ، اسئله شامله عن جمیع مظاهر الهند ' للتحصیل والنشر ، ولو امکن ، معرفه اوسع للاثار الاقدم ، وذلك للتوفیق بین جمیع الآراء المختلفه للجنس البشری ، أو علی الاقل لاکتشاف الحقیقه ،[۲۲] واعتقد ان الجمیعه أنشئت لنفس هذا الغرض . ومن بین اربعه عشر ' رأس الاسئله ' ، وفی الحقیقه کانت کلها قائمه علی اساس اللغه ، مشیرة الی أن عمل جونس الی ذلك الوقت کان اثبت الضرورة الی تحقیق لغوی لاکتشاف الحوادث القدیمه . فعلی

سبيل المثال ، كان من رأس اسئلته الاول ، عن ديانة" قديمة" لسكان الهند الاصليين والميثولوجيا والتاريخ والعادات والتقاليد . وكان من اسئلته الثانية" عن النقوش التى تتعلق باصل الانسان أو أول مبادئ" الديانة" . وكان من أسئلته الثانية" عشرة عن لغات الهند الاصلية" والعلاقات بينها من حيث الاشتقاق . وكذلك طلب يونج رسميا النماذج النباتية" الهندية" للحديقة" النباتية" الملكية" عند ' سنت ونسنت ' .

فى ١٩ يوليو ١٧٨٥ ، هنئى اسقف لنداف ، رتشارد واتسون ، جونس بتأسيس الجمعية" الاسيوية" بالنيابة" عن ' جميع الناس ذوى عقول واسعة" ' .[٢٤] وكانت اسئلته فى كثير من الاحيان لاهوتية" ، مثل سؤاله عن أى بيان لسقوط آدم والطوفان فى المخطوطات السنسكرتية" ، وعن الخلفية" الوثنية" للهنديين للتأكد من انهم انحدروا من نفس اصل نوحى الذى انحدر منه الاوروبيون . ولم تكن رسائل يونج وواتسون بداية" مراسلات علمية" فحسب ، بل انها اهدت ايضا جونس الى ادماج عدد من اكتشافات نفسه فى سؤال اوسع عن أصل الهنديين والعرب والتتار والفارسيين والصينيين ، كما سيبين . فافادت بحوثه للجمعية" ، بذلك ، مقصدا دوليا بكل معنى الكلمة" .

بعث رائد علم الانسان اللورد مونبودو ، جيمس بورنيت ، اليه استفسارا علميا عن الهند وكان رد جونس باضافة"

'فقرة عالم فقه اللغه' التى تعطى فكرة علم اللغات المقارن فى 'المقالة السنويه الثالثه' انتزع من استفسار مونبودو فى ٢٠ يونيو ١٧٨٩ 'لو استطعت ان تكشف ذلك البلد المركزى الذى قد استنتجت منه جميع هذه الامم، التى سميتها، صلتها فى اللغه والعادات والفنون التى تلاحظها' وتفكيره العميق فى السنسكرة توقع ان الجمعيه تستطيع ان تثبت مفروضته بأن المصريين كانوا تعلموا السنسكرة فى الهند.[٢٥] ومن البين ان جواب جونس غير المتبع، أثر فى اسئله شامله من هجرات قبليه واصل الناس والتقاليد واشكال الخطابه القديمه. وكان جونس شديد الاهتمام بعلم الانسان المقارن بمصطلح اصل مشترك ممكن للهنديين مع بعض الناس الآخرين من آسيا.

ووصل الاستفسار العلمى لأيزرا استيل من 'ييل' فى ١٨ يناير ١٧٩٤ بعد موت جونس. وهذا الاتصال العلمى الجديد من امريكا يشابه التبادلات المقترحه مع الاكاديميه الامريكيه للفنون والعلوم وجمعيه مساشوسبت التاريخيه. وتشير جميع هذه التبادلات وغيرها الى نجاحه فى اقناع الباحثين الغربيين بالقيمة العلميه، ولو لاتكون لها أيه قيمه فنيه، التى يمكن ان توجد فى المخطوطات السنسكرتيه وفى المصادر الهنديه الاخرى. وحتى يمكن ان يقال ان بعض النزعات الحكوميه الواضحه بدأت تميل عن الامبرياليه نحو نظام منور تصوره جونس. ولكن فيما بعدها جمعه جيمس مل مباشرة فى

' تاريخ الهند البريطانيه' ' (لندن ، ١٨١٧ ، ١١ ، ١٣٨ — ٤٠) ،
وكتب اللورد ميكالى مذكرته الشهيرة فى فبراير ١٨٣٥ ، ووصف
جونس والمستشرقين الاخرين فيها كمدافعين عن لغات شرقيه ميته
وثقافه جامدة سيطر عليها دستور هندى هندوسى ، الذى مهد السبيل
لنشر اللاأخلاقيه ، ورعد ميكالى : ' وما وجدت ابدا واحدا بينهم
(المستشرقين) يستطيع ان ينكر ان رفا واحدا من مكتبه اوروبيه
جيدة تساوى جميع ادب محلى من الهند والعرب . . . . . وايما
أمرئ يعرف تلك اللغه (الانجليزيه) توجد عنده وسيله للوصول
الى ذخيرة عقليه واسعه التى انشأتها جميع اذكى اقوام العالم
وذخرتها خلال تسعين جيلا ' . فاراد الحكام الانجليز ان يدبروا
تعليما انجليزيا فى اللغه الانجليزيه للهنديين، محاولين محو جوهر
محلى والنظام. وانهم فرضوا النظام الانجليزى لكونه غايه الغايات ،
بنتائج ثقافيه بعيدة المدى التى لن يمكن ان تقيم بصحه . وهذا
انتصار الامبرياليه فى القرن التاسع عشر يلقى الأضواء على زوال
شهرة جونس العالميه بعد ١٨٥٠ .

و بين دراساته السنسكرتيه للجمعيه التى بدأت سنه ١٧٨٥ ،
رأى جونس بعض النزعات فى اعمال حكوميه التى بدأت تنبأ
بامبرياليه اكبر فى الهند. وساعد هذا الادراك فى اضرام رغبته من
جديد حوالى ١٧٨٧ فى ' بريطانيا اكتشفت ' ملحمه على براعه
دستور انجليزى واخلاق ملك كامل التى خطت قبل ثمانيه عشر

عاما. وكذلك، ان خصب الديانة الهندوسية سحره. فادمج نظام ميثولوجيا هندوسية في خطته الاولى. وفي الكتاب الثاني جعل نهر ' غنغا ' ينبئ كنبي الآلهات المجتمعة عن مخاوفه من ان نجاح البريطانية في انشاء البيون ' يثبت اصل قوم عجيب، الذين يقبضون على شواطئه، ويدنسون مياهه، ويستهزؤون بمعابد الآلهة الهندية، ويستولون على ثروات عابديها، ويدخلون قوانين جديدة، ودنيا جديدة، وحكومة جديدة، ويهينون البرهمنيين، ولا يحترمون القوانين المقدسة لبراهما '. وعلى الرغم من مخالفة آلهة هندية، ينشأ البيون للتوافق مع ميثولوجيا لاتينية لتأسيس البريطانية. ومهما كان، ففي الكتاب الاخير ' يوصى الدرواد الحاضر بحكومة الهنديين حسب قوانين انفسهم '.[٢٦] فمن بعض النواحي، كان جونس يتوقع معركة ادبية مع امبريالية فكتورية لميكالي وللذين اقتفوا اثر ذلك المؤرخ في جعل الحكومة الانجليزية في الهند اكثر كبحا في جميع اجراءاتها في القرن العشرين. وانما كمل الخطة الجديدة لـ ' بريطانيا اكتشفت '. الى حدما، لأن الملحمة لاتكون لها قيمة عملية كبيرة للهند كما انها تكون لمجموعة قوانين هندية التي كان بدأ يعدها. وكان لعدد قليل من الانجليز ان يفهموا ابدا مفروضات فلسفية أساسية والبيئات الدينية للهند، ومن سوء الحظ لا هو ولا رجل آخر مثله كان متيسرا للكفاح ضد الامبريالية المتطرفة في القرن الآتي ونصفه، عندما استغل الانجليز الهنديين، الذين

فرضوا ادنى قدرا ، بقسوة استغلالا كاملا.

وعلى الاقل ، ان عمل جونس فى الهند فى نهاية الثمانينات من القرن الثامن عشر اداه بسرور الى توسيعه تركيز الجمعية الكبير سابقا على المنافع الانجليزية ، حيث ان الهند والشرق اعتنت بهما قليلا . وكانت تهذبت تجربته كرئيس وباحث مساهم فى فكرة رائعة فى مقالته التاسعة فى ٢٣ فبراير ١٧٩٢ . فقال : ' فى مقالاتى السنوية فى المستقبل ' اقترح ان اوسع على المنافع الخاصة لبلدنا وللنوع البشرى ، التى يمكن ان نصل اليها بتحقيقاتنا المجدة المتحدة فى التاريخ والعلم والفنون ، فى هذه المناطق الآسيوية ، وخاصة فى مناطق هندية تحت السيطرة البريطانية ، التى يمكن ان نعتبرها مركزا (لالجنس بشرى) بل مركزا لتجاربنا المشتركة لترقية مصالحها الحقيقية ، واعتقد اننا نلتقى فى هذا الرأى ، ان الجنس البشرى ، الذى من واجبنا ان نزيد فى سعادته الانسانية وتكون ، بدون شك ، من محاولاتنا ، لا يستطيع ان يكون سعيدا لمدة طويلة بدون الخير ، ولا يكون عفيفا فعالا بدون الحرية ، ولا يكون حرا مصونا بدون معرفة عقلية ' اعماله ، الجزء الثالث ، ٢٠٤).
وفى المقالة العاشرة السنوية ، حدد بوضوح مصطلح ' منافع خاصة ' قائلا ' لا مرافق متينة ولا رفاهيات الحياة الاجتماعية فحسب ، بل أيضا سعادتها الرائعة البرئية ، وحتى مسرة حب استطلاع طبيعى وجدير بالثناء (اعماله الجزء الثالث ، ٢٠٥) .

مع أن قوميه" نفسه لم تغرق ابدا فى انسانيته العميقه" كل الغرق، فاستطاع جونس ان يستميل عددا من الباحثين الهنديين الى خطته للبحث. فقال فى مقاله" ' فى ادب الهندوسيين ': ' نحن سعداء بالعلم ان الهندوسيين العلماء مشجعين بلطف حكومتها وحسن سلوكها حريصون، على الاقل، ليوصلوا علومهم المختلفه"، كما يمكن ان نستعد لقبولها . ولان الاوروبيين مدينون للهولنديين تقريبا لكل ما يعرفون من اللغه" العربيه"، وللفرنسيين لكل ما يعلمون من اللغه" الصينيه"، فدعهم ان يتعلموا من قومنا اول معرفه" مضبوطه" للسنسكرتيه"، وللاعمال التى الفت فيها، ولكن، ان يريدوا ان يتوصلوا الى فكرة صحيحه" عن الديانه" الهنديه" ' الادب ' فدعهم يبدأوا بنسيان جميع ما كتب القدامى أو المحدثون فى هذا الموضوع، قبل ان طبع غيتا (اعماله، الجزء الرابع، ١١٣) .

ولم يزل يشتغل فى اعداد البحوث اكثر من سائر الجمعيه" مجموعه". ولكنه دائما اصر على تعاون العلماء الآخرين، الاوروبيين والهندوسيين على السواء، بحيث تنشر النتائج وربما يستعملها جميع الناس. وفى مقاله" ' فى اشكال موسيقيه" للهندوسيين ' أشار الى وضع الجمعيه" الغريب فى صلاحيتها، ' لحصول معرفه" كامله" للموسيقى الشرقيه"، التى تعرف وتمارس فى هذه المناطق البريطانيه" بالموسيقيين المحترفين فحسب، بل ايضا بالمسلمين والهندوسيين من أسر راقيه" وعالمه". ' ورحبت الجمعيه" بالمجلات الآسيويه" المستحسنه" فى

قطعة موسيقية ..... ويمكن ان تدرس هنا احسن الآلات الموسيقية من آسيا ، ولو نريد ، فيمكن ان نمهر فيها ، أو على الاقل يمكن ان تقارنها بآلاتنا ، والجهود المتزامنة ، بل المسليات ، لأفراد مختلفة في مجتمع انفسنا ، يمكن ان تسهل في تحصيل افكار صحيحة في موضوع ممتع سار الى هذا الحد ، ونشر اكتشافات كل واحد منهم بحرية وقتا فوقتا يرشدهم ، بتيقن وسرعة اكثر ، وبطريقة مرضية ايضا ، الى نهايتهم المرغوبة ، وهذه تكون منافع الاندماج ، أو مستعيرا مصطلحا من الفن بين ايدينا ، 'انسجام متناغم' في جميع متابعاتنا ، وقبل كل شئ في متابعتنا العلمية (اعماله ، الجزء الرابع ، ١٧٤ — ١٧٦).

ومجال هذا الانسجام المتناغم المرغوب فيه وشموله يتجليان من دراسات جونس المختصة المختلفة للجمعية . فعلى سبيل المثال : منها وصفه للبنغول الميت ، الذى بعث اليه عضو من الاعضاء ، قد اطلق حكما عاما بان المخلوق يمكن 'ان يكون الخطوة الاولى من الحيوانات ذوات الاربع الى الزواحف' ، مفروضة الارتقاء البدائية للاختبار عندما تقدر الجمعية ان تدرس عينة حية واضاف : 'وهناك في ولاياتنا الهندية عدد من الحيوانات ، ومآت من النباتات الطبية ، التى اما لم توصف على الاطلاق ، أو ، أسوأ من هذا ، وصفها علماء الطبيعة الاوروبيون وصفا غير صحيح ، وللحصول على بياناتها الدقيقة بعد اختبار حقيقى ، ووصف استعمالاتها العديدة في الطب ،

والتغذيه"، أو الصناعات ، تبدو من أهم موضوعات معهدنا ' (أعماله الجزء الرابع ، ٣٥٨ — ٣٥٩). و هذا البيان البرنامجي يمكن ان ان يبين كثيرا من اعمال اليونسكو فى هذه الايام.

وفى نهايه" الثمانينات من القرن الثامن عشر ، كان يتخيل جونس الجمعيه" نوعا من الجسر بين الشرق والغرب ، بين مثل عقليه" لحركه" التنوير والقيم الواقعيه" لعهد هيستنغز — كورناواليز. وكان من النتيجه" الطبيعيه" تبلور ايدولوجيه" حديثه" جديدة لعلاقات ثقافيه" — عقليه" ، وكان من نتائجها الثانويه" مساعدة اهل الهند. ولابد ان أكبر ما يكون التفاهم بين الاوروبى والاسيوى اكثر ما تكون حكومه" الاوروبى على الاسيويين فعالا وانسانيه". ومن بعض النواحى ، ان رغبه" جونس فى التفاهم والتعاون توقعت التجاريه" والامبراطوريه" البريطانيه" نهائيا الى نظام الكومنولث الحديث.

وأن المركز العلمى الاساسى لتخيله الاصلى كان هذب باقامته فى شبه القارة . واستطاعت بحوث الجمعيه" ان تساعد الهنديين على الاقل بطريقتين. واقتضت الاولى تبديل موقف الاوروبيين كان مشتركا معهم فيه الى حد ما حتى اكتشف التراث السنسكرتى وعمل مع بعض البندتس. واعتقل الاوروبيون فى منازلهم ' الرجال السود ' من آسيا فقراء اخلاقا وثقافه" وعقلا. ومتى دفعت هذه الفكرة الكاذبه" فيستطيع نشر الجمعيه" المعرفه" ان تعلم الاوروبا المنجزات الاسيويه"

العظیمه". فمتی تعلم الاوروبیون الاحترام للاسیویین، فیغنیهم هذا التنویر فی نفس الوقت ویرفعهم لانهم عرفوا الأسیویین جزءا لایتجزأ من أسرة انسانیه". وکان یرید جونس واقعیا نقل جمیع علوم أسیویه" مهمه" کجزء من السعی: فیمکن ان نقول، 'اعطونا فرصه" لاکتشافاتنا، ونحن ننقل الی اوروبا جمیع العلوم والفنون والاداب الاسیویه"' [٢٧]. وکذلك استعمل البراهین اکثر عملیه" ومنفعیه"، کما بین فی برهانه لترتیله" الی لاکشمی'

وربما یمکن ان نفکر ان خرافات غریبه" للوثنیین، لیست جدیرة بالمعرفه"، ویمکن ان نقتنع بعدم صرف أوقاتنا فی دراسه" فکرة وثنیه" فی الاغریق القدیم والرومان، ولکن علینا ان نفکر ان القصص الرمزیه" توجد فی 'ترتیله" الی لاکشمی' نکون فی هذا الوقت دیانه" غالیه" لامبراطوریه" اشهر واوسع، یؤمن بها عدة ملایین من الناس باخلاص، الذین صنعتهم تزید فی دخل البریطانیه"، وعاداتهم، التی تشابکت مع آرائهم الدینیه"، تکاد تؤثر جمیع الاوروبیین، الذین یسکنون بینهم (اعماله، الجزء الثالث عشر، ٢٩٠).

وکانت طریقه" جونس الاخری للمساعدة باعانه" شخصیه" مباشرة. فقدم الهدایا بسخاء، وارسل افادات کتبه الی الاشقیاء فی سجن المدیونین بکلکتا، لترفع قضایاهم الی المحکمات بسرعه" وما الی ذلك. وکان من احدی وسائل المساعدة اقل مادیا، تعمیق

احساساتهم الفرديه والفخر القومى . وكان ادخار البراهمن المخطوطات السنسكرتيه منع ، طبعا ، علما واسعا للتراث الادبى الهندى . ومتى اكتشف جونس خصب هذا التراث فى مؤلفات كاليداس والكتاب الاخرين المعروفين، فاراد ان الهنديين ينبغى ان ينتبهوا الى ماضيهم المشرق . وقام بمقارنه بدقه بين اربع مخطوطات من كتاب للأحداث ' رتوسمهارا ' ونشر النص (كلكتا ١٧٩٢) . وعبر عن غرضه فى الصفحه الوحيدة من المقدمه الانجليزيه . ' هذا هو الكتاب الاول الذى يطبع فى السنسكرة ، وانما هذا النثر الذى يمكن ان يحفظ ادب الهند القديم لمدة طويله . [٢٨] ' وعلى اثر ذلك برنامجه الفردى فى تعليم السنسكرة انتهى .

وعلى الرغم من مثل هذا النجاح ، التقدم وحتى بقاء الجمعيه الاسيويه لم يزل موقوفا جدا على مساعى نفسه . وأثناء وجوده فى كلكتا حضر فى كل جلسته ، ببحث للقراءة بين سته او ثمانيه أعضاء موجودين . وعند ما كان يقوم بدراسة فى كوخه بـ ' كرشنا نجر ' خلال عطلة المحكمه ، فالرغبه اليها تدهورت فورا . وكثيرا ما كانت الجلسه تؤجل ، ولم تقرأ فيها أى مقاله . وانما كان خلوصه الشديد الذى منع الجمعيه من نهايتها فى غضون العقد الاول . وقد أحزنه هذا الشعور كما انه عبر عنه فى اعترافاته الخاصه ولكنه دأب ، ومهما كان ، فبذل اكبر جهوده ، بتكميل بحوث اكثر وبحث الزملاء على اتمام بحوثهم وعلى مساعدتهم اياه لتصحيح

التجارب الطباعية ليستطيع ان يقوم بطبع ' البحوث الاسيوية ' بنظام اكثر. وبالرغم من ضعف عيونه، فى فترة ما، الف أربعة بحوث "الجمعية على وشك الزوال "فى موضوعات غريبة، وأعد المواد لمقالة على الصينيين: "ان الجمعية ولد سقيم ضعيف، ولا بد من ان يغذى بالطعام اللين، ولا يموت بغلطتى، ولكن لابد ان يموت، لأنى لا استطيع ان اكفله لوحدى". [٢٩] وكان بحثان منها فى علم النبات. وكان واحد منها "فى آثار دائرة البروج الهندية"، مبنيا على المصادر السنسكرتية، وأعده صديق من اصدقائه البراهمن، الذى انهى بحثه بطريق خاطئ ولكن بادناء شئ مرغوب فيه، بان دائرة البروج كانت ابتكرت فى الهند، ربما قبل تشتت اسلاف هندوسيين. وكانت المقالة الرابعة "فى المقامات الموسيقية للهندوسيين" مقارنة ممتازة بين الموسيقى الهندوسية والغربية والفنون الأخرى.

وقد عبر عن قلقه عن الجمعية فى 'المقالة السادسة"، فى ١٩ فبراير ١٧٨٩. وسأل ' بأى وسيلة يمكن ان نصون جمعيتنا من موتها تدريجيا لأنها قد وصلت الى حالتها الموجودة شيئا فشيئا (هل اقول مزدهرة أو ذابلة ؟). وقد عاشت خمس سنوات بدون أى مصروف من أعضاءها.' ولا يكون اشتراء أى عضو نسخة من ' البحوث الاسيوية' اكثر من اشتراك سنوى لأى عضو الجمعية الملكية، وتمنى جونس:

'لتلقين ضرورة جهود مشتركة لزيادة بيع الاعمال فى كلا

البلدين هنا ولندن نجتمع، بدون جدوى، كهيئة ادبية، اذا انقطعت اجتماعاتنا عن تزويدها بمقالات اصلية وتذكارية، وبدون جدوى نجمع مقالات اكثر امتاعا، اذا لانستطيع ان نقوم بطبعها وقتا فوقتا بدون عرضها امام مراقبي مطبعة الشركة الذين يقومون بطبعها حسب مصادفتهم، وذلك يمكن ان يؤدى الى خطر جسيم، وبجهود متحدة قد ألف الفرنسيون مخازن ضخمة لمعرفة عالمية، وانما بجهود متحدة يمكن ان نرجو منافستهم، أو لنشر الاضواء فى بلد أنفسنا وفى سائر اوروبا، التى يمكن احرازها بواسطة مجلتنا "البحوث الاسيوية" (اعماله، الجزء الثالث، ١٣٥—٦).

ومن حسن الحظ ان بيتر ايلمسلى، الناشر الاول لجونس، وافق على ان يبيع المجلد الاول فى لندن، وربما بعد توسط جونس. واشتملت طبعة متأخرة من لندن التى طبعت حرفيا من طبعة كلكتا فى ١٨٠١—١٨١٢، على احد عشر مجلد اوليا. وتحت اشراف جونس اخرجت الجمعيه مجلدا فى كل سنتين، سنة ١٧٨٨، ١٧٩٠، ١٧٩٢، ١٧٩٤. وكانت هناك تراجم فرنسية والمانية، بنقد رائع فى مجلات اوروبية وحتى فى مجلات امريكية أيضا التى استلمت النسخ أخيرا. ولم تزل تعيد مجلات انجليزية وامريكية نشر مقالاته القصيرة.

واراد جونس ان يعود الى انجترا عام ١٧٩٥ لتدهور الحالة الصحية لزوجته. ولكنه بقى متفائلا، لايمكن ان احرض نفسى على ان انحلال جمعيتنا الاسيوية يكون نتيجة رحلتى، بينما انت مازلت

تقيم باكتشافات فى علم الفلك ، وولفورد فى الجيوغرافى ، والاخرون فى فروع مختلفه من التاريخ الطبيعى وفى منعزلى فى الريف، الذى افكر فيه بعد عودتى الى انجلترا ، استطيع دائما ان اساهم شيئا ما ، وربما بفعاليه اكثر من هنا ، لأنه يمكن ان يوجد النقاشون ، فى انجلترا اسهر من كلكتا.'[٢٠] وفى جلسه سنويه فى ٢٠ فبراير ١٧٩٤ ، عندما قرأ جونس 'المقاله الحاديه عشر ، فى فلسفه الاسويين' ، فحضر فيها سته وثلثون عضوا . وكانت كثرة عدد الاعضاء ، ربما بسبب ان كثيرا منهم عرفوا رحلته المخططه فى السنه القادمه . ولكنه توفى فجأة فى ٢٧ ابريل . وفى جلسه ١ مايو قدم الاثنان والثلاثون عضوا الموجودون اقتراحا ان يتولى الحاكم العام جون شور اللورد تيغنموث بالرئاسه . وهكذا امنيه جونس البدائيه لحاكم عام عالم الذى يرأس ايضا الجمعيه الاسيويه حققت بعد موته . وبالقيام على أسس متينه ثابته من قبل ، قام تيغنموث بخدمه جيدة كرئيس ثانى للجمعيه . وفيما بعد قد ألف سيرة رسميه لجونس ، مذكرات الحياة ، ومقالات ورسائل السير وليام جونس (لندن ، ١٨٠٤) .

وفى سنه ١٧٩٩ ظهرت مجموعه اعمال جونس فى سته مجلدات ضخمه مع مجلدين اضافيين مشتملين على المجلدات الخمسه الاولى من 'بحوث آسيويه' . واكتشف مزيد من كتاباته واضيف فى طبع فى ثلثه عشر مجلدا سنه ١٨٠٧ ، المذكرات الرسميه التى تكون

المجلدين الأولين. وطبع المذكرات نفسها عدة مرات الى ١٨٣٥ .
وبين ١٨٠٧ و ١٨٢٢ طبعت المجموعه الشعريه لجونس فى خمس طبعات مختلفه ، وعلاوة على ذلك ، فى عدد من مجموعات شعر بريطانى ، وقرأت جميع هذه المطبوعات فى صيته الذائع حول العالم. واثارت تراجمه الهنديه ومقالاته العلميه شوقا فى العوام والخواص على السواء مثل الشوق الذى اثارته حكايات من الف ليلة وليله التى ترجمت من قبل من غرب آسيا. ولم تتدهور شهرته الواسعه واقعيا حتى بعد منتصف القرن عندما هاجم ميكولى و جيرمى بتيثام والآخرون مقدماته واكتشافاته بجهالتهم.

مكانته : وفى ضوء التطورات الحديثه ، ماذا ترك تأسيس جونس الجمعيه الآسيويه وادارتها لعشر سنوات للاجيال القادمه. ولايمكن ان يفكر هنا الا فى وجهين من هذا السؤال ذى الوجوه العديدة ، وهما مساهماته للهند ، وعلم فقه اللغه. وأما الهند ، فكانت من تراثه العملى الجمعيه نفسها. وبمكتبتها الغنيه والتراث العقلى، قد انتجت الجمعيه اكتشافات قيمه. ولاتزال تستمر فى اكتشافات شامله لمناطق مختلفه ونشرها فى المجلات والرسائل العلميه والمؤلفات الأخرى.

ومنذ البدايه ، كان خطط التحسين فى حكومه بنغال وادارات انجليزيه اخرى كهدف رئيسى لبحوث الجمعيه. وفى الحقيقه ، قد وضع خططا عمليه لمثل هذا التطور قبل ان يبحر الى كلكتا.

وكان على أهبة ان ينقل المعلومات والاقتراحات العمليه الى ايدمند برك الذى سيقوم بتنفيذها التشريعى ، ولكن نزاعهما حول اعجاب جونس بـ ' هستنغز ' جعل ' برك ' ان لايهتم كلية ' احسن نظام عملى للقضاء ' (الرسائل ، الجزء الثانى ٦٤٣ — ٤) ، الذى بعث جونس برغم ذلك عام ١٧٨٤ . وقبيل ان ترى الجمعيه النور ، اصدر ' تعليمات الى المحلفين العظام بكلكتا ' فى ديسمبر ١٧٨٣ ' وحرره فيها ' ان سكان هذه الولايات المهمه يطلق العنان لهم فى احكامهم المسبقيه ، مدنيه كانت او دينيه ، ويسمح لهم ان يستمتعوا برسومهم بدون ازعاج ' (اعماله ، الجزء السابع ، ٤). وكقاض فى المحكمه العليا حاول ان يحكم بالمبدأ بأنه من اللازم ان يكون للهندوسيين ' الحمايه لأنفسهم ومنازلهم ، والعدل فى شئونهم المؤقته ، وحريه احكام ديانتهم ، وفائدة تلك القوانين ، التى علموا احترامها ، والتى يستطيعون لوحدهم ان يفهموها كما حقها ' [٢١] . ولاتباع هذا المبدأ بفعاليه ، اضطر ان يتعلم السنسكرتيه لتحديد المخطوطات القانونيه والدينيه المتعلقه بالموضوع ، وترجمتها وتاويلها . وكانت الخطوة الاخيرة اعداد مجموعه القوانين الضخمه ليكون جميع المديرين والقضاة فى الهند ان يحكموا أيضا حسب هذه القوانين : ' وتكون نتيجه دراساتى عن الهند مجموعه القوانين الكامله ، التى يدونها الان عدد من البندت استوظفتهم الحكومه ، بناء على اقتراحى ، واعتقد ، ان ترجمتى منها تكون معيارا لثمانيه

ملايين رجل ابريا" ونافعين، لطول ما تحكم البريطانيه" هذه المملكه" الجميله"، [٢٢] . وادت كثير من جهوده لمجموعه" القوانين الى تراجمها وتلخيصاتها والمقالات العلميه" للجمعيه" .

وبعد وفاة جونس، كمل هنرى توس سيليبروك فى آخر الأمر مجموعه" القوانين الهندوسيه" فى الزواج والوراثه" (كلكتا، ١٧٩٨، اربعه" مجلدات). وهكذا امكن ان تنقذ بعض النصوص السنسكرتيه" القديمه" من الضياع الدائمى، ولايضطر القضاة الانجليز فيما بعد ان يعتمدوا على البندتس لايوثق بهم فى كثير من الاحيان لمعلومات قانونيه" هندوسيه" . ومن ناحيه" ثانيه"، ان مجموعه" القوانين والجمعيه"، متلازمتان، أسهمتا فائدة أدق للهند. وكان جونس شجع عددا من العلما" الهنديين الممتازين للتعاون فى دراساته السنسكرتيه" بتعيين مخطوطات مهمه" أو بكتابه" مقالات اصليه" للجمعيه" . وعندما بدأ يعمل بالتعاون مع بعض هؤلاء البندتس، فنال عمله وعلمه حافزا كبيرا . وفى نفس الوقت كان يظهر ان اوروبا احب، فى الحقيقه"، السنسكرتيه" وتمنى ان يستخدم علمها من ذلك اليوم لمساعدة الهنديين، فحالفا للاجانب المستبدين، الذين تولوا، عادة، زمام الحكومه" بدون أى حافز عقلى وانسانى . والفضل فى بعض من نجاح بارع لعلى ابراهيم خان وجغن ناثا ترلبا شنن ورادها كانتا والآخرين ليعد الى ايحا" جونس . فأحبوه خاصه" لحبه للهند .

ومساهماته الهندية لم تكن محدودة فى الأشياء النظرية مثل تشجيع البندتس على اخراج علمهم وتحسين الحكومة الانجليزية بتيسير مجموعة القوانين. وتكاد تكون المنافع العملية دراسة مستقلة، فلا يذكر هنا منها الا اثنان. فعلى سبيل المثال، فى البحث عن شخصية سيتيكا المعروفة فى الأدب السنسكرتى ولبيانها فى مصطلحات لنيان، قدم جونس توصيته باستيراد بيندانوس ليرام وثمرته التى تزن عشرين أو ثلاثين رطلا انجليزيا، وتشتمل على مادة نشوية سائغة ومغذية معا الى أقصى حد، وربما تكون، اذا وجدت بكثرة فى هذه الولايات، ضمانا للأبد لسكانها من مخاوف المجاعة [٢٢]. وحتى خطط طريقة زرعها للتأكد من النجاح فى ادخال شجر جزر نكوبار فى بنغال.

وثانيا، استخدامه الدراسات اللغوية لتطبيق عملى ممكن الذى أوضح كل الوضاحة فى مقالة "فى علاج الفيال" اعماله، الجزء الرابع، ٣٦٧—٧٩. أولا قام بترجمة كراسة فصل فيها علاج بلورى زرنيخى للفيال، مرض شائع فى كلكتا ولكن ليس فى اوروبا. وكشف البحث فى مخطوطات طبية سنسكرتية معالجات اخرى. ثم جمع المواد فى مقالة، قرأها امام الجمعية ونشرها فى البحوث الاسيوية، كما كان رأيه فى جميع دراساته. وأوصى باختبار الاوروبيين النظامى للادوية الزرنيخية والادوية المظنونة الاخرى. ومتى أثبتت الحقيقة طبيا فى الغرب، فيمكن ان يعاد الدواء للمقاومة ضد الفيال فى

الهند . وبذلك خطط جونس نوعا من تعاون طبى دولى الذى تقوم به فى هذه الأيام هيئة" الصحة" العالمية" ، حقا كانت فكرة جديرة بالذكر لقرنه .

ومن حيث الكل ، ان الجمعية" الاسيوية" ودراسات جونس الخصبة" المنتظمة" فى موضوعات هندية" متنوعة" فى دوره كرئيس وباحث منسق ومترجم ، قامت بمساهمة" ذات اهمية" التى صارت نهضة" قومية" أو حتى نشأة ثانية" . وبمساعدة الهند فى اكتشاف ماضيها ، ساعد اهل الهند فى الاعتزاز الذى يتبع بتلك النهضة" . كما قال بعض العلماء" الهنديين ، جونس عمل كالعصا الذهبية" التى جعلتنا تدريجيا أن ننتبه من رقدة طويلة" . . . . . وربما انه زود ، بدون شعور ، باقوى قوة لنهضة" ونشأة ثانية" لحضارة قومية" فى الهند — قوة لمعرفة" عقلية" ، وفهم ذكى بدراسة" مناسبة" ' [٢٤]. ومن بين تراجمه العديدة من الادب السنسكرتى ، انها كانت ترجمة" شكنتلا سنة" ١٧٩٨ التى اثرت تاثيرا اعمق فى الهند والغرب معا . وربما كان رأى نهرو احسن ما يعبر عن تقدير الهند له : ' انما كانت مقالاته وتراجمه التى لمحت اوروبا بها لمحة" من خزائن الادب السنسكرتى . . . . والهند مدينة" كل الدين لجونس ولكثير من الاورويين الاخرين فى اكتشاف ادب ماضيها مرة ثانية" ' [٢٥] ولكن ، طبعا ، ان اعتزاز المتجدد لم يعد ان ينال الفتوحات ضد القوة العسكرية" البريطانية" .

وتستخرج جميع مساهمات جونس اللغوية" للاجيال من عمله

مع الجمعية ، لأن صيغه اللغويه وابتكاراتها توجد فى الدراسات التى قام بها للجمعية ، ومن حيث مكانته العامة يمكن ان نقول انه كان اول من جعل نظرية تعلم اللغات وقيمتها رائجة ، لان شهرته الظاهرية كانت قائمة الى حد كبير على اللغات ومذكرته المعروفة. (اعماله ، الجزء الثانى ، ٢٠٤) التى تعدد ثمانية وعشرين لغة درسها ، اقترحت للعالم ان ينبغى ان يتبع الناس العاديون منهجه لو يطمحوا الى مثل هذا السمو. والى ان بدت شهرته تذبل بعد ١٨٥٠ ، ذكرت سيرته كنموذج مثالى فى نظم متعددة. وظهرت سيرته المدحية فى عدة مجموعات السير ، التى نموذجها المرتب حسب التاريخ كما يلى :

بلوتارك البريطانى (لندن — ١٨١٦)

سير المحامين البريطانيين الممتازين (لندن — ١٨٣٠)

سير الانجليز الممتازين البارعين (غلاسغو ، ١٨٣٦ — ١٨٣٧).

الرجال المشاهير من العهد الحديث (لندن—١٨٣٧)

سير الشعراء الانجليز (لندن — ١٨٤٦).

بلوتارك البريطانى الجديد (نيويورك — ١٨٤٦).

صور قلمية للشخصيات اللامعة (لندن ، ١٨٤٩ — ١٨٥٠).

فتوة الرجال الكبار (نيويورك ، ١٨٥٤).

سير الرجال الذين علموا انفسهم (بوستن ، ١٨٥٩).

انتصارات المثابرة والعزيمة (لندن ، ١٨٦٠).

العلماء الكبار (ادنبره ، ١٨٨٠).

عالم فى القانون (لندن ، ١٨٨٧).

المستشرقون الممتازون (مدراس ، ١٩٢٢).

واكدت هذه السير المتفرقة اهمية اللغات فى تعليمه ونجاحه أخيرا. واظهرت ان اكتشافه الخزانة التى توجد فى اسلوب كتابة اللغات القديمة والحديثة ، يمكن ان تعتنى بها ويمكن ان تكون مفيدة أيضا ، وحتى تقدر ان ترفع البشر ، وخاصة ، عند ما تعتبر اللغة حاملة ما يمكن ان تسمى الحضارة العالمية.

ومما لاشك فيه ان تحمسه واخلاصه لمثل هذه الدراسات كان لهما تأثير على العلماء الذين واصلوا زيادته فى القرن القادم. وان صياغته مصدرا مشتركا كحد لعلاقة اللغات كانت مساهمة لغوية كبيرة منه، التى اختبرها اصواتيو القرن التاسع عشر بنظام ودعموه بالوثائق فى تعيين افراد أسر لغات متعددة. وان ' فقرة عالم اللغة ' الشهيرة قبل ذلك الحد كثيرا ما نقلها اللغويون واعترفوا بقيمتها[٢٦]. وان الصدق المسرحى لهذه الصياغة مدهشة خاصة لقالب افكار قبل نشأة العلوم الذى كان لجونس ان يعمل فى داخله. واضطر ان يفرد الافكار المهمة فيها ثم المضبوطة ، التى كانت موضوع تجربة عملية ، من العادية المنبعثة من اللاهوتية والخاطئة ، وكلها كانت كثيرة فى مصادرها.

واظهر ايضا معرفة جيدة لصوتيات عامة فى نظام جونسى ،

باستعمال المبدأ الكبير ، مبدأ تفريد الاصوات الاصلية وبيئتها بواسطة نقل حروف لغة الى حروف لغة اخرى بدل ترجمة عادية من حرف لحرف. سمح هذا النظام ، الذى يبدو بسيطا حيناما ، تبديل اللغة المحلية ، بوسائل تغيرات املائية مثل بيندت ، باندت ، و بنديت .

كانت نسخة معدلة منها فى استعمال كثير من المستشرقين وعلماء اللغة لرسم الاشياء من بعض اللغات الاسيوية عندما شكل اتحاد علم الصوتيات الدولى عام ١٨٨٦ [٢٢]. ويمكن ان يبحث تأثيره المباشر من ناحية علم الصوتيات فى رمسك ، وغرم ، وثرنر ، تأثيره اقل مباشرة ، فى الحدث الهام الذى يمثله اتحاد علم الصوتيات الدولى وتصفياته.

والى ان تطورت حديثا مناطق جديدة مثل اجتماعى علم اللغة ، ادان كثير من علماء اللغة نظرية جونس الظاهرية بان دراسة اللغة لاتحمل اى اهمية صلبية للمكتشف. وعلى الاقل فى النصف الاول من القرن العشرين ، كلف بعض علماء اللغة انفسهم فى التدليل على النظرية المتقابلة : تعلم اللغة ووصفها ذو قيمة من اجل نفسها ، بدون اقتضاء اى نوع من التطبيق لتبرير المجهود ولو استطعنا ان نقيس الخطط الاصلية ومقاصد المشروعات الكبيرة مثل اطلس علم اللغة للولايات المتحدة وكندا مقابل اصرار جونس على وجود اهداف عملية لكل جهد تحقيقى ، فيمكن ان نتصور

اعتراضه على غياب عناصر اجتماعيه" وتعليميه" مباشرة وباستفادة من وجهه" نظر اجتماعى علم اللغه" الجديدة ، يمكن ان ندرك بانه كيف يمكن ان تخفى معلومات علم اللغه" البحت ، أو حتى تبعد حقائق خطيرة مثل انعزال اللغه" المحليه" لاى جنس ، وطبقه" اجتماعيه" ، واقدار اخلاقيه" ، وتنوع وتعقد فى داخل المدنيه" وغيرها والتطورات الحديثه" فى منهج اجتماعى علم اللغه" ومقاصده ، مع استخدام نتائج اللغه" المحليه" فى تعليم المناطق الحضريه" والطبقه" الاقليه" ، كادت تصل الى الحلقه" الكامله" من فهم جونس المبتكر واستعماله اللغه" ، كما هذبا فى سياق تكنولوجيا الجديدة ، ومن هذه الناحيه" ، كان نموذجا اوليا للمعتقد فى مذهب الفعاليه" ، الذى يطلب العلم لاستخدامه لاهداف مفروضه" سلفا ، تعليميه" واسعه" ، اخلاقيه" وخاصه" اجتماعيه". ويظهر توكيده لاستعمال المعرفه" عبر الحدود الدوليه" اغنى صفاته كعالم اللغه" :

ولكن المنفعه" الاجتماعيه" لم تكن ابدا من مقاصده الوحيدة فى الدراسات السنسكرتيه" ، فكر فى بيانه عن اكتشاف فى علم النبات : ' طبعا نحب العلم ، كما نحب النور ، حتى ولولا نقصد استعماله لغرض مفيد أساسيا. وهذا يراد كاعتذار للمشقات التى تجشمت لحصول جواب محتم بسؤال غير نافع حسب الظاهر ، ولكن ينبغى ان يرد عليه عن طيب النفس فى الهند ما هو المستبل الهندى ' [٢٨] وبالاجمال ، كان عند جونس دائما مقصدا أساسيا

علميا بالاضافة الى مقاصد اجتماعية التى اكد بها عادة. ولاتخاذه اوتوماتيكيا القدر الصلبى من دراسة اللغة، طلب نتائج عملية من اكتشافاته. ولم يضع وقتا فى الدفاع عن قدر صلبى الذى بدا له واضحا. فصارت معرفة اللغة التى نالها اساسيا، وسيلة لرفع الجنس البشرى المطلوب، والذى اعتبره اهم. وكان فهمه وتنفيذه المبدأ، بأن التبصر فى حضارة اخرى يمكن ان يوصل اليه بواسطة لغة قوم ونظام كتابتها، من اكبر مساهماته للاجيال القادمة. وتنفيذان الحديثان جزئيا مجموعة ثلاثمائة لغة مختلفة سجلت على الشرائط الهندية فى السجلات الهندية الجديدة للغات العالمية، ومجهودات علماء اللغة الشديدة لتسجيل لغة معينة وتحليلها قبل ان يموت آخر متكلميها المواطنين.

ويوضح هذا المبدأ، لم تبدو «فقرة عالم اللغة» لجونس وبعض الصيغ الاخرى اقل منها مدفونة فى السلسلة المعقدة التى تكون ثالثة بواسطة مقالته التاسعة السنوية امام الجمعية الاسيوية ١٧٨٦ — ٩٢. وكان من مقصده المبين محاولة ان يكتشف، هل الهنديون والعرب والتتار والفارسيون والصينيون كانوا انحدروا من اصل مشترك ام كان ذلك الاصل نفسه الذى بينه كثير من العلماء للجماعات الخمس من الناس الذين قسموا آسيا فيما بينهم. ولهذا الغرض، اضطر ان يبين «من كانوا افراديا، ومن اين جاءوا ومتى، وأين ساكنون الان، وما ميزاتهم — التى يمكن ان تزود عالمنا

الاوروبى بعلم اشمل واكمل ، عن جميعهم ٬. والبرهان ، الذى كله تقريبا كان مستنتجا من اللغة ، يأتى ٬ من لغاتهم وحروفهم ، وثانيا ، من فلسفتهم وديانتهم ، وثالثا ، من الآثار الباقيه الواقعيه من نحتهم القديم وفن البنا ، ورابعا ، من المذكرات المكتوبه لعلومهم و فنونهم٬[٩٦]. ربما لايعهد الى اليوم نظير لمثل هذا البرنامج الواسع المنظم بروعه للبحث والتحقيق . وبعد غربله سحب الاساطير ، اراد جونس ان يستعمل الدليل الميتن الباقى لرسم خريطه ماضى الجنس البشرى كله فى جميع فروعه بالاسيا كلها . وادمج الاسئله الاسمى ليونجى ، اسقف للينذف ، وللاخرين فى تحقيقه الخصب الشرق . وفى سنه الاربعين ، اسرع فعلا ، فى اعماله وناسج خطته ٬ مقياس البشر ٬ لتأليف علم جميع عمره بشكل كتب مستقلة فى التاريخ ، والخطابه والفلسفه والسياسه والرياضيات بين من الخمسين والستين . ولم يكن برنامجه قبل العلمى الا من ناحيه انه كان يتوقع جمع اكثر معلومات ممكنه والوصول الى جميع النتائج بنفسه . وحتى اليوم لم تبذل اقوام متعاونه اى جهد شامل لادارة برنامج بحث واسع الى هذا الحد فى مناطقها .

وعند ما استعمل مثل هذه الدراسات الشرقيه لادماج المعلومات من السنسكرة ، والاوسيتا ، واليونانيه ، واللاتينية والالمانيه والويلزيه ، فكانت ٬ فقرة عالم اللغه ٬ التى ترد طبقه العامه الى نفس الاسرة ما لابد منها تقريبا . وان النتيجه الثانويه ، التى مثلته

هذا الخاتمه" داخل نظامه الواسع ، اقتضت دخولها فى القسم عن اللغات والحروف ' فى مقاله" سابقه" عن الهند ، وكذلك ، فى ' المقاله" السنويه" الرابعه" ' فى ١٠ فبراير ١٧٨٧ ، ادخلت بالضرورة صيغه" اخرى مهمه" . ' اللغه" العربيه" لاتتشابه تشابها ما ، سواء فى الكلمات او فى صياغتها ، مع السنسكرة ، او مع اصل اللغات الهنديه" المحليه" (اعماله ، الجزء الثالث ٥٢) . وبدون اى تأثر من عدد كلمات عربيه" مستعمله" فى الفارسيه" ، اعد توثيقا تشكليا وتركيبيا فى علم المنهج ينبأ المنهج المقارن الحديث .

واستخدم هذا علم المنهج ونظريه" الاصل المشترك مرة ثانيه" فى 'المقاله" السنويه" الخامسه" ' فى ٢١ فبراير ١٧٨٨ . وقال : 'اقنع نفسى ، بانه ، لو اجرى تحقيق قضائى فيها وقدم التقرير بامانه" ، فتثبت نتيجتها ، ان جميع اللغات وخاصه" اللغه" التتاريه" نشأت من اصل واحد مشترك ، باستثناء دائما اللغات الغريبه" للمتجولين أو الجبليين ، الذين تفرقوا منذ مدة طويله" ، عن الجسم الرئيسى للامه" قد شكلوا خلال ازمنه" لغات مختلفه" لانفسهم . . . . وقد اقنعنى بحث دقيق ، بان اللغه" الهنديه" والعربيه" انحدرتا افراديا من اصل مشترك ، فكذلك اللغات التتاريه" يمكن ان يتتبع اصلها من جذر قديم مختلف أساسيا من الأخرتين (اعماله ، الجزء الثالث ، ٨٤—٨٥) .

وعلى ذلك افترض اصلا مشتركا للمنغوليه" والتركيه" ، ولبعض

اللغات الاخرى . وبالقياس على امثلة" الهند - الاوروبى ، شكل الاسبانية" والبرتغالية" فى اسرة واحدة متفرعة" ، والويلزية" والايرلندية" فى اسرة اخرى ، والدانمركية" والانجليزية" والالمانية" والسويدية" فى اسرة اخرى مستقلة".

ومهما كان ، فان عالم اللغة" الذى يتنخل أحجام شئون جونس غير اللغوية" فى المقالات السنوية" يجد شيئا من ذهب مع الكتلة" الصلبة". واذا اخذنا بعين الاعتبار كثيرا من المصادر الوهمية" وعامة" اساليب قبل العلمى فى عهده ، فيمكن ان نتوقع بعض الافكار الخاطئة" الفولكلورية" عن لغة" ، التى[١] لاتزال سائدة الى اليوم . فعلى سبيل المثال ، الاشتغال مع اللغة" العربية" اداه الى ان متكلمى تلك اللغة" ' غرسوا بعض فروع العلم بنجاح كبير ، واوصلوا لغتهم الى درجة" كبيرة من الوضاحة" والدقة" ، وهذا دليل على انهم لم يكونوا اصحاب الذوق فحسب بل ايضا كان بينهم عدد من الفلاسفة" ، لأن تلك اللغة" تكون دائما اوضح وادق ، التى كتبت فيها اكثر اعمال الفلسفة" الحقيقية".'[٤٠] ومع ذلك ، ان الاحكام القيمة" بين حين وآخر مثل هذا فى كتاباته لايطرح من الذهب اللغوى هناك .

ولم يكن اى حاجز لغوى هائلا جدا اذا فكر جونس من قبل واراد ان يقهره . وعندما عزم على ان تحكم القوانين الهندية" وعرفها عليها ، فاضطر ان يؤلف ويترجم مجموعة" القوانين من المخطوطات

السنسكرتيه" القديمة" . ولهذا اضطر ان يخطط وينفذ بنظام خطه" شامله" للتضلع من لغة" جديدة "تماما واسلوب "كتابة" فى ظروف قاسية" . وباتباع اجراءات من خطه" مقالة" عن 'التعليم' استخدم "تمارين تنتهى فى تسع ترتيلاته الشعريه" الى الآلهه" الهندوسيه" واربع تراجمه الكبيرة من السنسكرة .[٤١] واقتضت الخطه" تناسج المعلومات من موضوعات مختلفة" — اى الميثولوجيا والديانه" والقانون والتاريخ والادب — التى ساعدت فى تاليف وحدة فخمة" من العلم الذى تصور لعالمه الكامل . ومن هذه الناحيه" الكبيرة ، السير وليام جونس ، رأى من قبل ، الفلسفه" المنظمه" التى تصف الان خصائص عالم اللغه" ، كما فى اجتماعى عالم اللغه" ، ونفس عالم اللغه" ، وعلاقه" اللغه" بالقضايا السيكولوجيه" والفلسفيه" للعقل التى تحدد خصائص اقدار اكبر لعمل هو شوكى الحديث .

الهوامش

(٢٣) الى جونس ، الرسائل ، الجزء الثانى ، ٦٨١ .

(٢٤) الى جونس ، الرسائل ، الجزء الثانى ، ٦٨١ .

(٢٥) غارليند كينون ، المراسلات بين اللورد مونبودد وبين السير وليام جونس 'امريكن انتروبولوجست ، المجلد السبعون (يونيو

١٩٦٨) ٥٥٩ ، ٦١٠. وانظر لمونبودو ' ريادة الاصل وتطور اللغة . (ايدنبره ، ١٧٧٤ — ١٧٩٢ ، ستة مجلدات .

(٢٦) انظر اعماله الجزء الثانى ، ٤٤٤ — ٤٥٤ .

(٢) 'تصميم رسالة فى نباتات الهند 'اعماله ، الجزء الخامس ، ١

(٢٨) اعماله ، الجزء الثالث عشر ، ٣٨٦ . وانظر لغارليند كينون ، ' السيروليام جونس وترجمة الادب السنسكرتى و تاويله . ' المقالات الثمينة فى الانجليزية واللغة الاميركية وادبها ، ١ (١٩٧٢) ، ٨ — ٩ .

(٢٩) الى جون هايد فى ٢٠ اكتوبر ١٧٨٩ ، الرسائل ، الجزء الثانى ، ٨٥٠ — ٨٥١ .

(٣٠) الى ديويس فى ٢٠ اكتوبر ١٧٩٢ ، الرسائل ، الجزء الثانى ٩١١.

(٣١) مقدمة ترجمته الانجليزية لمناوا — دهرما ساسترا ، اعماله ، الجزء السابع ، ٨٩ — ٩٠

(٣٢) الى ايرال سبنسر فى ١٩ سيتمبر ١٧٨٨ ، الرسائل ، الجزء الثانى ، ٨١٣ .

(٣٣) عن ثمرة ميلورى . اعماله الجزء الخامس ، ٥٤ .

(٣٤) سنيتى كمار تشاترجى ، 'السيروليام جونس : ١٧٤٦ ، ١٧٩٤ ' فى السير وليام جونس : الذكرى المئوية الثانوية المجلد التذكارى لولادته ١٧٤٦ — ١٩٤٦ (كلكتا ، ١٩٤٨) صفحة ٨٢ — ٨٧ .

(٣٥) اكتشاف الهند (نيويورك ١٩٤٦) صفحه ٣١٧ .

(٣٦) كما فى هولغر بيدرسين، اكتشاف اللغه: علم لغوى فى القرن التاسع عشر (بلومنغتون، الهند، ١٩٦٢)، ترجمه جون اسبارغو صفحه ١٨ . وايضا لفرانكلين ايدغرتيون 'السيروليام جونس ١٧٤٦ — ١٧٩٤' ولغارليند كينون، علم اللغه الفارسى للسير وليام جونس، فى صور قلميه لعلماء اللغه، رتبه ثوماس، اى، سيبوك (بلومنغتون ١٩٦٦)، المجلد الاول، ١ — ١٨ ٣٦ — ٥٧ على الترتيب . وايضا مرى ب. امينيو، الهند وعلم اللغه' مجله جمعيه الدراسات الشرقيه الاميركيه، المجلد الخامس والسبعون (يوليو — ١٩٥٥) ١٤٥ — ٥٣، ولغارليند كيتون، 'جونس المستشرق' (لندن، ١٩٦٤) صفحه ١٣٩ — ٤٢.

(٣٧) انظر للسيد مونيير وليام 'واجب المستشرقين متكلمى الانجليزيه بشأن العمل الموحد فى التمسك عامه بمبادئ السير وليام جونس لنقل حرف لغه الى لغه اخرى، وخاصه فى حالة اللغات الهنديه، مجله الجمعيه الاسيويه الملكيه للبريطانيا العظمى وأيرلند (١٨٩٠). صفحه ٦٠٧ — ٦٢٩

(٣٨) عن السنبل الهندى للقدماء' اعماله، الجزء الخامس ١٣

(٣٩) المقاله السنويه الثالثه' اعماله، الجزء الثالث، ٢٨، ٣٢.

(٤٠) كلمات افتتاحيه" لمقاله" فى تاريخ الاتراك. ' اعماله ، الجزء
الثانى ، ٤٧٣ — ٤٧٤ .

(٤١) غارليند كينون ، 'الدراسات الهنديه" لسير وليام جونس ' مجلة"
جمعيه" الدراسات الشرقيه" الاميريكيه" المجلد الواحد والتسعون
(يوليو — ستمبر ١٧١٩)، ٤١٨ — ٤٢٥ .

تعريب : الدكتور سليمان اشرف

يوس بيغبيدر مالرو والهند فى كتابه: انتى مموار

قد نشر مالرو حتى الان المجلد الاول فقط من كتابه المسمى ، آنتى مموار، فى سنه ١٩٦٧م وجزءا من المجلد الثانى تحت العنوان التالى (البلوط الساقطه) فى سنه ١٩٧١م . تحتل الهند جزءا مهما فى كلا الكتابين. بالاضافه الى الاشارات العديدة المتوزعه ، هناك ثلاثه فصول ، و اكثر صفحاتها مكرسه للهند اكثر من اى بلد اخر فى أسيا . والآن قد قضى مالرو اكثر وقته فى الهند الصينيه وحتى فى الصين. انه جاء الى الهند ثلاث مرات فقط . فى سنه ١٩٢٩ م عند ما زار شمال الهند فقط ، وفى سنه ١٩٥٨ م عندما ارسله الجنرال ديغول الى جواهر لال نهرو الذى كان قد قابله قبيل الحرب بوقت قليل ، وذلك عند ما كان قد جرح حديثا فى اسبانيا ، و نهرو اطلق سراحه من السجن ، واخيرا فى سنه ١٩٦٥ م اثناء رحلته الطويله التي اخذته الي الصين. قطع رحلته

فى بومباى ورجع الى دلهى لاعطاء تقديره لذكرى غاندى .

ان هذه الزيارات كانت منفصلة فى الزمان ولوقت قصير ، والتى كانت خاصة لم تكن مرتبطة فى حياته مع مغامرته الشخصية كما فى كمبوديا او مع بطولته المجتمعة كما فى حالة الصين . ولذلك ومن اجل اسباب اخرى ليست اقل ضرورة التى جعلت مالرو يحاول فهم عظامة المهمهمة للهند التى سيطرت على تفكيره (آنتى مموار ، ص ٢٩٨) كحكمة بارعة يقتبس مالرو نصا بوذيا ، والمحتمل انها اخذت من 'جتاكاس' التى تروى ولادات بوذا المتوالية : 'ان الفيل اذكى الحيوانات وهو الوحيد الذى يتذكر الحياة السابقة ' ويبقى نفسه هادئا ومفكرا بها . ان فى الهند ، كما يعرف المرء ، قوة تذكر الولادة السابقة تمثل علامة بانه وصل مثل بوذا اعلى مستوى روحى . ان الحكمة والذاكرة للفيل هما مثل اسطورة . ان مالرو مسرور فى تضرعه لايجاد كتاب مكون من بنولاء التى بعض منها ينسب للخيال وكثير منها لتذكر الماضى والتى هادئا يجب ان استردها . (ص ١٩) .

الذكرى الاولى : الهند الاسلامية وبنارس والتى اكتشفها فى ١٩٢٩ م : الرؤيا الغامضة ولكن اغلبها يبقى بصورة رائعة . وفى سنة ١٩٥٨ م عينه الجنرال ديغول ليذهب ويشاهد بعض رؤساء الدول الآسيوية واولا نهرو ، ويقيم فى العاصمة فى (راشتر بتى بهاون) مع تذكرها عن الامبرا طورية البريطانية المنقرضة . نهرو تحدث

معه عن الهند الجديدة وعن محاولته لادارتها . ومتأثرا بطريقة ما من اعتقال وسجن غاندى ونهرو مالرو يتحدث عن اعتقاله بايدى الالمان : اللقاء بين الموت والرجل الذى ابتر من الخلود، (ص ٢٣٥)

عودة الى الهند : بدعوة من نهرو مالرو زار بعض الاماكن المقدسة العظيمة مثلا سارانانه وبنارس . وهناك كل ما يسميه الغرب الحياة تحطم نفسها على ضفاف نهر الغنغا ، ومعبد المدورائى وفيه ترقص الخلائق العديدة والورا حديقة الهند الليليه ذات الحلم العظيم ، (ص ١٨١) واخيرا اليفنتا حرم الاله شيفا الذى يقع تحت سطح الارض . وبعودته الى منزله فى بومبائى يسأل نفسه لماذا الهند اجتذبته كثيرا : البلد الذى يعطى فيه الموت معنى للحياة ،وبعد ذلك يسترجع كل الذين لاقيمة للموت عندهم : رفاقه الذين قاتلوا وقتلوا عبثا، اثناء حرب ١٩٤٠ (ص ٣٠٠) انه يصف الهجوم على ميدان فلاندروس حيث كانوا على وشك ضياع نفوسهم ويقارن الجواب الصامت من اليفنتا للانعزال المشئوم الذى قابلوه قبل الموت .

ان الفصل الاخير كله خصص عن الهند : ويعود مالرو ثانيا الى دلهى الجديدة ويقابل فيها نهرو مرتين وتمكن من التحدث معه بالتفصيل عن ماذا يميز الغرب عن الشرق ، السوال اذن لتفهم هل السكر مع العمل يستطيع ان يصمت السوال الذى يطرح الموت للانسان وهو ماذا تفعلون فى هذه الارض ؟

ان هذا الملخص يشير الى وجهى الهند اللذين يراهما مالرو :

ففى احدى الجوانب ، الهند ' الرسميه ' وهيكل لقاءه مع نهرو وفى الجانب الاخر ، الهند الدينيه بحيث مكان مقدس للهندوسيه والبوذيه . ولكن المغزى من حديثه مع نهرو والسفير ' استروروغ ' يشمل هاتين الناحيتين . وفى الواقع انه يزور الاغوار المقدسه تلبيه لدعوة نهرو (ص ٢١٤) . ليس بصحيح انه يتجاهل الحقائق الاخرى : فيتكلم مع نهرو عن الهند الجديدة . وهو يعرف ان الارياف تكون الهند الحقيقيه (ص ٣٥٨) . ولكنه لايفتخر بانه يعرف الكل . فكيف يمكنه بعد مثل هذه الزيارات القصيرة ؟ فماذا اعرف حقيقه عن هذه الحضارة ؟ فنونها وفلسفتها وتاريخها . . . . لا استطيع ان ادعى باننى افهم . — من خلال مرورى — الفكرة التى قاومت سبعه عشر فتحا والفى سنه . اننى احاول لافهم همهمه الهند العظيمه التى استحوذتنى ' (ص ٢٩٨) . اذاً كلما يبحث فى نهرو ، كما فى المقدسات انها رسالة .

ان الجزء الذى يحتوى على المجلوبيه ' فى وصفه للهند فهو قليل . ليس هذا بالصدفه ان تصوره ' المنظرانى ، يوجد خاصه فى الصفحات التى تتعلق بمروره السريع فى سنه ١٩٢٩ عندما كان لايعرف عن الهند الا قليلا : مثل جابور مع اناقه الف ليله وليله وبنارس ' مع حيواناتها المقدسه فى الضباب ' (ص ١١٢) . ولكن الاوصاف مثل هذه لها غايتان : المحاوله لاحياء جو الاسطورة كما هو فى حديقه الغزلان فى الكافلتو او لتصوير اصاله البلد التى

اكثر من اسلام واليابان واكثر من افريقيا ، تخالف نفسها ماذا يمثل الغرب اليوم : ' بعيدا فى ، رويرى ، و ، تائم ، تتعلق الهند بالشرق القديم الذى هو روحنا ' (ص ٢٩٨). عندما اصبح مئتا الف مصرى اربعه" ملائين فى ١٩٢٩ م والابواب الفسيفسائيه" فى طهران كانت تضيع نفسها فى المدينه" ' (ص ١١) كان النهر الغنغا دائما قناة عظيمه" ، جنائزيا ومثويا . . . . و القرود حتى آنئذ ركضت على الكرانيش . . . والصلاة الهنديه" العظيمه" ارتفعت من هذه الجماهير التى قدست لسنين عديدة نفس النهر ، ونفس الشمس بنفس الاغانى ونفس طريق حرق الجثث التى ترمى فى النار بدون عنايه" مايسميه الغرب الحياة ' (ص ٢٧١). ان فى الحقيقه" هذا هوالفرق بين الهند والغرب الذى يجتذب مالرو. فاذا يمتدح نهرو فانه بسبب ان هذا هو رجل الدوله" الذى بالرغم من نشوئه الانجليزى يبقى بعمقه هنديا. طبعا انه لم يرفض العلوم والاله" ولكنه فى كثير من خطاباته قد تذكران الشعب الهندى حتى وان لم يتظاهروا بانهم افضل من الاخرين ، يعرفون انفسهم بانهم مختلفون . ان الفرق الذى كرس حياته لاجله والقيمه" العليا التى جاءت بها الهند الى هذا العالم فكرة هى ' العمل اللاعنفى ' (ص ٢١٠) عندما يسئله مالرو ' ماهو اصعب الاعمال منذ الاستقلال ' ؟ كان الرد الفورى : ' تكوين الدوله" العادله" مع الوسائل العادله" ويبدو لى . . . ' (ص ٢١٠) ولوان نهرو رجل، لا ادرى، مثل مالرو ،

ولكنه على رغم ذلك يجسد الهند الخالدة ، وفى بيته احدى الصور وضعت على طاولته القصيرة التى تمثل بوذا من سيلان . واتذكر الخطاب الذى تكلم فيه بوذا ، بانه ابن الهند العظيم ، (ص ٣٣٨) . وما للهند ان تعطى للغرب ، فيرى نهرو الرجوع الى القوميه القديمه ، ان الغرب قد اتى بالا شتراكيه والتعاون للمجتمع . وهذا ليس ببعيد جدا عن النظريه البرهمنيه القديمه عن الخدمه المثاليه . هكذا ان الانسان الذى يريد ان يغير الهند يبقى مخلصا ليس للتقاليد الميته ولكن بالمزايا الاساسيه لبلده .

وماهى هذه القيم ؟ واين تتجلى اكثر وضوحا ؟ ان ترتيب الفصول يلقى ضوءا على هذا . ان الفصول الثلاثه عن الهند فصلت اولا بقصه اعتقال مالرو فى سنه ١٩١٤ م حيث ابتلى بانجاز زائف واصبح موضع تعذيب وبعد ذلك ببيان عن هجوم الدبابات فى ميدان فلاندرس الذى قد خسر فيه مالرو واصحابه تقريبا حياتهم : لحظتين حيث قابل هذا الرجل الموت الذى ، ابتر من الخلود ، بين هذه القصص والصفحات عن الهند فتح الحوار ، بين الحضارة التى الموت فيها له معنى والانسان الذى الحياة ليست لها معنى عنده ، (ص ٢٣٠)

ان تجمع الجماهير الهنديه هوالجواب على عزله الافراد فى الغرب ، والغيتا ،يعطى الجواب، انك لن تستطيع معرفه الجميع، :

انني البدايه والنهايه للكائنات كلها . . . .

والمخلوقات كلها موجودة فى . . . (ص ٢٩٤) عند ما تزحف دبابه

مالرو الى صفوف الالمان ترتفع امامه رؤيا كرشنا فى مركبه وهو يحث ' ارجونا ' للقتال : 'اطلق عنانك للقتال . . . ان عمل مقاتلى مها بهارت اقرار بالامر العالمى'.

وفى سنغافور يقابل مالرو صديقا قديما وهو جامع الفراشات ويخبره ان هناك نص مقدس للهند حيث بعد انتهاء القتال تستقر الفراشات الجبارة على جثث الجنود والفا تحين النائمين (ص ٤٧٧). انه ذكر هذه المحادثه الى الجنرال ديغول مؤخرا : ' ان الفراشات تكلم انفسهن بدون شك : أننا نفس الفراشات منذ ذلك الزمن الطويل والتاريخ الفقير للرجال (ص ٦١) ان الفراشات فى كتاب آنتى مموار تشرح ماذا فعل الثلج فى الكتاب 'معارضه الوقت لهوايه الرجال'. (فى مقابله مع فيجاروفى ٣٠ ابريل سنه ١٩٧١ م) ان الفراشات فى الملاحم الهنديه والسنغافوريه والثلوج التى تتساقط خارج الشبابيك فى كولمبى كل هذا ايضا كالليل الذى يستاذن فيه مالرو وديغول للانصراف ، والليل الذى لايعرف التاريخ ' الليل ' فى ' الورا ' وفى ' مدورائى ' وفى 'بنارس' والليل فى ' فلندرس' عند ما يضحك القمر على ' غنيشن ' و ' ينير دبابتهم مثل مصباح الجنازة ' (انتى مموار ص ٣٣٣) . والنهر الغنغا ايضا فى طريقه معينه يرمز الدوام وراء نفوس سريعه الزوال . انه مثل 'لوار' الذى يتكلم عنه شاتو بريان فى ' حياة رانس ' الكتاب الذى ينتابه الموت : ' انه لايرى الم شواطئه والانهار لاتدمج نفسها مع ضفافها'

مواجها الهند فى حبها للخلود انه الغرب فى ما يبدو وللابد موقع فى شرك طبقات ' المايا ' الخادعه . فى الحقيقه كل ما يتقاسى الوقت هى ، المايا ، (ص ٢٧٦) . والغرب فريسه الوقت والاستحواذ مع الموت يدفعه الى العمل وانه لايحاول اجابه الاسئله التى تطرحها الروح ولكنه يحطمها .

ان المايا مرتبطه ايضا مع الرغبه والتنازل والوهم

حتى اثناء زيارته الاولى للهند مالرو قد اعجب بمنظر رجل الدين الهندى (سادهو) فى بنارس الذى ' ان يتضرع لاوهام العالم عندما كان يهتف 'مرحى ، (ص ١١٦) انه يستانف قصه الناسك 'نرادا' التى كان قد رواها مسبقا فى ('انمساخ الاله') . يسأل نرادا فشنو الذى ظهر امام شجرة ملتهبه ان يغشى سر المايا . والاله يجيب : دع هذا ، ولكن اذهب واحضر الماء اولا فيذهب نرادا الى اول قريه ولكنه يقابل هناك فتاة شابه التى يقع فى حبها ويتزوجها . بعد اثنى عشر سنه تدمر الفيضانات القريه وتذهب بزوجته واولاده وتلقى به فوق صخرة ، فلما استرد وعيه يسمع صوتا يقول : 'اين الماء ؟ اننى انتظرت اكثر من نصف ساعه '. ان هذه الحكايه تظهر معارضتين مضاعفتين : معارضه الوقت والخلود والوهم الكونى والكائن فوق الوجود المادى .

ان رحله مالرو الى المقدسات الهنديه العظيمه تاخذ صورة حجه : ، بنارس التى تستهلك فيها المحرقه الحياة وبعد ، مدورائى ،

و، الورا، واخير، اليفنتا،. ان سيفا هو اله الوقت وهو الذى يبدد الوهم. انه يعبد فى مدوراثى مثل ابنه ، غانيش ، فى الورا التى تظهر فيها البراهمة" المكان المستدير الخالى ' هنا يرقص سيفا ' (ص ٢٨٩) ولكنه فى الورا خاصة" يظهر بكل جلاله وعظمته. ويرى مالروفيه ' رمز الهند ' (ص ٢٩٢) بينما فى الغار المجاور تغنى بهاغوت غيتا ':

تماما مثل ما يرمى الثوب المستعمل ،
هكذا يرمى بعيدا الذى يلبس جسما
اجسام مستعملة"...........

ولكنه ربما اكثر بكثير فى بوذا الذى تجد فيه الهند تعبيرها الاسمى : فهذا بوذا الذى يحاول ان يهلله الكائن نفسه لكى يحصل على البحران النهائى والذى يسميه با جلال : ' سلم الهاوية" ' (ص ٢٩٩).

اذا هذا هو جواب الهند : الخلود والتخلى عن اعمالنا ونفوسنا سريعة" الزوال رغم ان مالرو يحب الهند عميقا هذا لم يمنعه من اعجابه بتقدم الصين ' ولولا يجد الموت مكانا هناك' (ص ٥٣٦)، وملحمة" ' الزحف الطويل ' تفتنه مثل ' زحف الملح ' للغاندى وانه يهتز اكثر الى دعوة اليونان غير مفهومة" للشرق ، سكران بالخلود ' (ص ٣٦).

واكن جواب الهند ـــــ غير مقبول لمن لا ' يعتقد ' ـــــ

هو جواب وفقا لقلبه ان هذا البلد الذى يعارض مأساة الروح وروما نسيكية" الفرد والتشارك المقدس مع الارواح ينسجم مع كربه لان اغانيه "تمسك السماء الليلية" امام الخلود"

ترجمه من الفرنسويه" جبيتا راجن تعريب : د . محمود الحق

التعليقات

١- ان الكتاب آنتى مموار يختلف من المذكرات الرسميه" فى صورة على اساس انه لايهتم بالترتيب التاريخى بمحتواه. والكاتب لايريد ان يستكشف "انا" ٥. فهو يقول "مايهم المرء فى اى رجل هو الحالة" الانسانيه""

٢- ان ، البلوط الساقطه" ، قد عرضت كحوار طويل بين الجنرال ديغول واندرى مالرو فى ، كولومبى لى دو زغليز ، الذى انعزل فيه الجنرال بعد ان احيل الى التقاعد فى ١٩٦٩م

٣- تقريبا ١١٠ صفحة" من صفحة" ٦٣٠ صفحة"

٤- انه فى ١٩٢٣م سافر الى كمبوديا لحفر الاثار القديمه" حيث حاول ان يكتشف نحوت معبد مهجور انظر : رويا الملك ، قصه" نشرت فى ١٩٣٠م .

٥– بعد اشتراكه في حركة " التحرير في الهند الصينية " انضم بحلقات الثوار الصينيين.

٦– ان مالرو الذى قاد ' العصابات ' في سنة ١٩٤٤ م قد جرح ووقع بايدى الالمان ولكنه نجا من العذاب بسبب اوراقه اصبحت مرتبكة " مع اوراق اخيه.

٧– انه مفتون بسرية " تجسد مهيشا مورتى الشهير ، 'رؤوس اليفنتا الجبارة في شبه الظل ، البلوط الساقطة " ،.

٨– سمع مالرو في مدورائى صوت تاجر صيفى يغنى اسطورة غانيش.

٩– طبع ليتيسير ، ص ١١٠ .

١٠– ' ولكن المعارضة " العميقة " مبنية " على دليل اساسى من الغرب اما المسيحى او الملحد وهو الفنا " في اى شكل ما ، بينما الدليل الاساسى للهند فهو خلود الحياة في خلود الوقت '

(انتى مموار)

الكفاح من اجل نبوغ في الفن الهندى المعاصر: مساهمة الرسامين البنغاليين

اسوك متر

كتاب جاياباسامى ' ابنندرا نات طاغور وفن عصره ' فى نظرى لمحاولة هامة للغاية لنقد الاثار حسب التسلسل الزمنى ، قامت بها هندية حول موضوع واسع النطاق من الكفاح من اجل نبوغ فى الفن الهندى المعاصر ، وقد استخدمت فيها مكاسبها الفكرية وحساسيتها الفنية الدقيقة ، لدراسة فترة لم تر ميلاد الفن الجديد فى الهند فى نهاية القرن التاسع عشر فحسب وانما حددت سيره للمستقبل ايضا . ويمكن لاى ان يجد فى كتابها مشاكل عصرنا منعكسة بجلاء مثلما ينعكس شئ فى بركة ساكنة . والذى عكر واربك دنيا الفن الهندى التى مثلها ابنندرانات طاغور والفنانون العشرة الاخرون الذين تناقشهم الآنسة اباسامى والذين وضعوا وسيطروا على مسير الاحداث فى فترة مابين ١٩٠٠ و ١٩٢٩ — انه لايزال يعكر الفنانين فى عصرنا . لايبدو ان الحرب العالمية الثانية

اسوك مترا

والاستقلال والتقسيم فى عام ١٩٤٧ والتغييرات الاقتصاديه والسياسيه الهامه التى ظهرت فى السنوات الثلاث والعشرين الماضيه منذ الاستقلال ، لايبدو ان كل هذه حررت الفنان الهندى من مشاكل اسلافه ، وحولته الى السير الى مجال مختلف هو فيه واثق بنفسه وله معالم واضحه. والمشكله — كما كانت فى السابق — لاتزال مشكله كبرى تتلمس طريقها الى هدف معين ببراعه عجيبه وهى تطور وتحسن بالوعى وبالاستمرار ميزتها التقنيه ، وتطور وسيلتها باستمرار للخطه عندما سيكون لها بحق شئ للبيان. ويمكن لاحد القول بان الشغف بالمهارة فى الاشكال الانتقائيه لتطوير الاساليب التقليديه والابتكاريه كان مفروضا فى الفن الهندى المعاصر بحيث انه حتى عندها كانت الميزة الفنيه منصهرة مع تراكم سليم واستيعاب التجربه البشريه وانتجت نماذج فريدة ، قد ادت الى انجازات تقنيه صادقه هامه ، ولكنها كانت بشكل كبير منسيه بالتجاهل. وكانت الرسم المنمنمه ورسوم البوم الهنديه مسيطرة على الشعور الهندى — خاصه — منذ ان حملها البريطانيون الى الامام عن طريق مدارس الشركه الهنديه الشرقيه فى شمال الهند — بدرجه ان احدايميل الى التجاهل بالصور الزيتيه الجداريه التقليديه المستمرة فى قصور أندهرا براديش وكيرالا ومدراس ومدهيا براديش وراجستهان وهماتشل براديش حيث كانت التقنيات والمساعدات من الرسوم المقلوبه والتركيبات الواصله — وان كانت مضعوفه بسبب التكرار

وجعلها منطبقة" على اسلوب تكنيكى معين — كانت مع ذلك مدعمة" ومقويه" والرسم المنمنم حافظ على المبدأ الجمالى الهندى من التصور الذهنى — التكديس السليم واستيعاب التجربة" البشريه"، ويقطع النظر عن انشغاله الصحيح بالشبه والصورة النموذجيه" والرسم المنظورى خفيفة" كانت اوقائمه" لتحقيق وضوح الواقعيه" وخلق وثبات جبارة فى مجال المطالب النموذجيه" الحديثة" مثل القيم اللونيه" المعبرة فى تفاعل الامكنة" الملونة" المنبسطة" والاحجام اللونيه" التى تعطى القيم الصبغيه" المتماثله". كان صفاء النطق فى هذين العالمين منا لا من قبل فكل ما فعله رسامو الرسوم الجداريه" والصغيرة الهنود هو الاتساع المهيمن تكنيكيا فى التعديلات والتركيبات مثلما سادت الرسوم الموسويه" والحائطيه" البزنطيه" لقرون حتى قضى عليها ' غيوتو ' ووجه الرسم الاوروبى نحو مطالب جديدة.

والنفوذ الاوروبى الجديد خدم الرسام الهندى ليتجه الى مايقال بالقيام بمسعى سريع نحو تركيبات من النموذج النطقى، وادى هذا الى صدام النموذج الاوروبى فى التركيبات التصويريه" بالنموذج الهندى فى الرسوم الصغيرة، واصطدم الرسم المنظورى والصبغى والتخطيطى وترتيب القيم اللونيه" اللانهائى الاوروبى بالرسم المنظورى المقلوب الهندى ومظاهره اللونيه" المنبسطه" الخارجيه". وكان الفنان الهندى حائرا بين العالمين فكان منجذبا — من الناحيه" — بامكانات التكنيكات الجديدة، و مخلوبا — من الناحيه" الاخرى — بتراثه هو.

وكان هذا هو كفاح ابانندرانات طاغور فى تصميمه التكنيكى لفنه ، وهو كفاح قد اتسع وتعقد با كثر بنفوذ الحركه" السواديشيه" التي اجتاحت فى عصره وهزت — بصفه" خاصه" — اسرته التى كانت بنفسها عالما مستقلا له ضمير سام ، وهذا الكفاح قواه فى اعتقاده بانه لا يدوم شئ الا ان ينبع من نفس احد وبانه لا يستطيع احد بحق ابداع نماذج او تكنيكات او عرزها الا تلك التى هى مزورة بشكل كبير . ولا يمكن لاحد الارتياح بمجرد تقليده فى التكنيكات مهما كانت رفيعه" الشأن فلابد له من ان يطور التكنيك ، الامر الذى هو نتيجه" منطقيه" لصدام الجديد بالقديم . ان تركنا العمل التقليدى الذى انفق فيه ابانندرانات طاغور — حتما — وقتا كثيرا مهيمنا على صورة الشخصيه" الاوروبيه" من ناحيه" ومحللا المنجزات من الصور الصغيرة و رسوم البوم الهنديه" من ناحيه" اخرى — فوجدناه قد نجح بكل حال — فى التركيبات من النموذج البارز فى التعبير الذى كان بامتياز فى الصور الشخصيه" بالقلم الملون وفى تخليقاته الطلائيه" — تحويل الرسوم من نوعى ، راغينى ' وراغ ' او تحويل المشاهد الموسميه" الى العوالم البديعات المختلفه" — ووصل نهائيا الى اقصى حد فى سلسله" كافيكانكان غاندى .

وفضلا عن ذلك ما هو الذى حققه ابانندرانات طاغور ولم يكن فى السابق ؟ وكيف طور التكنيكا الهنديه" ؟ وما هو الاسلوب الجديد الذى اوجده بمهارة ؟ فبدأ ابانندرانات طاغور حياته

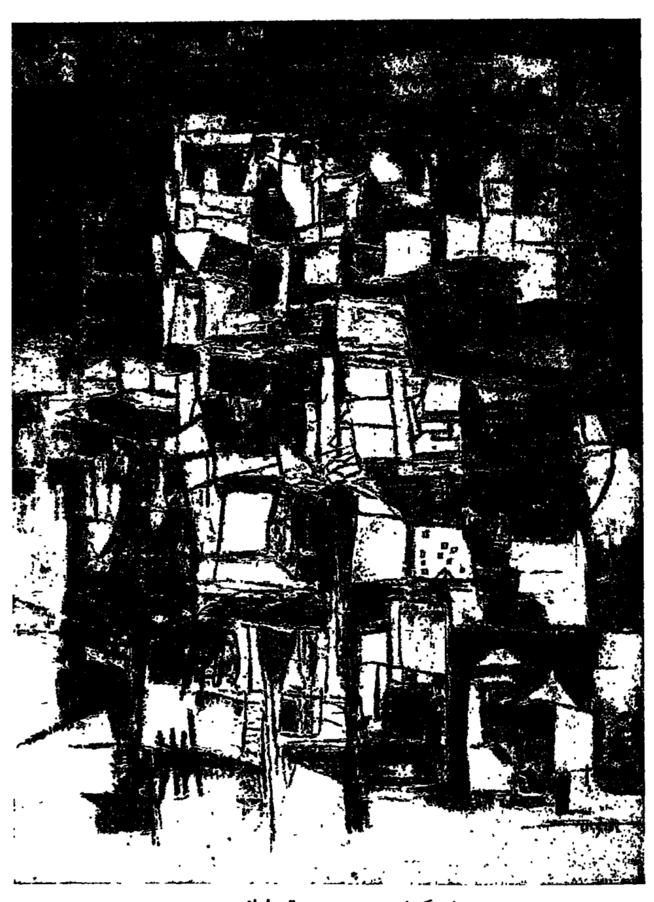
الفنية بكونه مقلدا او محاولا لتقليد الرسوم الصغيرة والرسوم الشخصية الغربية . غير انه فى الايام الاولى من حياته انتج ايضا رسوما لوجوه مستعارة ملئت بها قاعة كبيرة وكانت هذه الرسوم نقطة مضادة لفترته من النفوذ . وكانت مغامرته الثانية هى اخذ الرسوم الصغيرة الهندية وحدها واثبات هوية العناصر وتركيبها من جديد بواسطة نفوذه الاوروبى فى سلسلة البوم من الليالى العربية واخيلة عمر الخيام . وفى نفس الوقت اراد تاليف بعض الانواع الادبية والروحية من الرسوم الصغيرة الهندية من جديد بطريقته هو . واخيرا التزم بالصور الشخصية والصغيرة المهندة من جانبه هو متجها نحو اللوحة الحائطية فنال اعظم نجاح فى مهنة فى ذلك ، وضمنت له هذه المهنة الهندية الخالصة من الالهام والرضاء وايضا من التكنيكا عن طريق العمليات تاليف الرسوم الصغيرة من جديد بمساعدة ما تعلمه هو من التاثير الاوروبى . وهذا افرج عن ينبوع جيد غريب من النشاط الخلاق الذى اتخذ اشكالا محلية كثيرة كما نجدها فى اعمال نندلال بوس و ك . فينكاتا باوا وا ٠ر٠ تشوغانى ورام كنارا وامريتا شير غل . وكانو كلهم اساسا محبوسين فى الكفاح ليصلوا الى وفاق بين الطريقة الاوروبية للرسم التى تعلموها فى المدرسة وبين واقعية رسم الصور الصغيرة والحائطية الهندية التى كانت تراثهم والتى لم يكن منها مناص للخلاص وكان المستوى العالى من غير شك منجزا فى رسوم ،

امريتا شير غل 'مثل رسمه المسمى ب' المرأة فى الحمام' وهو ياخذ من غير خطأ اصل رسومه من رسوم 'كانغرا' الصغيرة و 'كانغرا' نوع من الرسم لا يمكن محوه بالحديث عن 'غاغين' وان كان 'غاغين' يساعد شيرغل بالتاكيد فى التوجه مباشرة الى مصدرها الوطنى .

غير ان اعظم ناجح فى تشييد الاسلوب التركيبى النطقى فى رأى انا هو بنود بهارى موكرجى الذى استخدم ترسانه" الرسوم الحائطيه" الهنديه" للتغلب على المشاكل التى خلقها منصة" الرسم الاوروبى و رسم الصور الصغيرة الهنديه" ايضا .

ولكن يمكن لاى ان يرى فى المعرض الاستعادى المثير للعواطف — الذى اقيم فى رابندرا بهاون قبل خمس سنوات — مدى التحليل بالوعى الذاتى والتركيب فى الشعور الاوروبى الذى استخدمه فى توسيع الحفرات على القطعات الخشبيه" فى الاعدادات الحائطيه" ومهما يكن فكل هذا قد وضع فى الخيال من حياته القرويه" فى عام (١٩٤٠) ومن المرسوم على سقف بيت الشباب وعلى سقف بيت لسانت 'سيغنار' فى عام (١٩٤٧) ويوجد كل ذلك على جداران هندى بهاون فى شانتينكيتن . وفى كليهما هو طور بمهارة فائقه" تكنيكات الخيال متعدد الالوان وكما يوجد ذلك فى هندى بهاون — خاصه" بسلاسه" كبرى فى التعبير وبدهاء التاليف الواصل .

والحقيقه" بانهم كانوا فى الاغلب ملتزمين بالهند . — والقليل



رام كمار : مدينة" وارانسي



م. ف. حسين : بادمينى



امريتا شير جل : المرأة تغتسل



بنود بيهارى مكرجى : النساك من القرون الوسطى



نند لال بوس : اردھاناریشور



جاجندرانات طاغور : قصر الثلج



اباندرانات طاغور : القردة والشاة



اباننذرانات طاغور : روايه" نورالدين

منهم ترحلوا رحلات كثيرة او درسوا لفترات طويلة في الخارج ، هذه الحقيقه ربما ثبتت ان تكون نعمه مستترة بالنسبة لمعظم الفنانين الهنود في عام ١٩٤٧ . وكان معرفتهم بالاساليب غير الهنديه وبالتاريخ الفني منحصرة بشكل كبير في الكتب ، والقليل الذين جاؤا الى الهند تبادلوا الآراء معهم . وهذه العزلة دفع الجيل القديم الى تطوير التقنيه بتكييف وعيه والمسعى المستمر في الجودة الفنيه مع تراكم واستيعاب التجربه والحاجة للعمل من اجل ما يقال — بالتعبير الاحسن — بالحل الهندي للجمهور الهندي .

وبينما هذا ادى بالتاكيد الى ما كان بالسطحيه والتزوير هنديا لمجرد تقليد بالماضي والاهتمام بالهنديه بالعناوين واخيرا اخرج هذا الفنان الهندي من كفاحه الى التشييد التركيبي من الاسلوب النطقي . ورفع فترة ما قبل عام ٩٤٧ ، وفرصا جديدة وايضا تهديدات جديدة . والسفر والدراسة في الخارج وسع بشكل اكبر فرص الوعي الذاتي والتركيب الدراسي وادخل الطامح الهندي الى التيار الرئيسي من المطالب الاوروبيه . ومثل هذه المعرفه وضعت في ايدي الفنانين الهنود ادوات اوروبيه للدراسة والتشييد من جديد وهذا فرصة في دراسة الاساليب المعاصرة . والعنصر التفضيلي الاختياري في الفنان الهندي كان بافراط مزدهرا ، وكنتيجة لذلك هو الان منتج قدير وواع اكثر من سلفه ، غير انه لابد ان يكون متضايقا لفقدان الرضاء عن عمله ، وهو في اكثر الاحيان لايستطيع

البيان بانه الى اين ينتهى فى الواقع ومن هم اسلافه . وبعض حاول تغطيته بالتشبث بالمضامين والمواضيع الهنديه"، ويتقديم الخواص والسجايا الهنديه" وانتهى البريخت ديورر فى نهايه" رحلته لا يطاليا الى توتونى باكثر ، وهذا اجراء كان منحزا — بطريقه" خلابه" — من قبل رابندرانات طاغور وحده فى المجال الهندى واساسا المشكله" امام الفنان الهندى استمرت فى عام ١٩٦٠ عندما طور واشيد من جديد عمليه" رسم الصور الصغيرة والحائطيه" الهنديه"، ومشكله" فننا بقيت اساسا مشكله" الاسلوب الوطنى الذى تطور من عصر الى عصر . وكان ' ستيش غوجرال ' واكبر باد مسى ومقبول حسين او باريتوش سين هنودا فى فنهم لانهم فى معظم اعمالهم الفخمه" كانوا يشيدون بطريقه" جديدة الرسوم الصغيرة اوالحائطيه" الهنديه" وبجانب هذا كانوا يصبون الروح الهنديه" غير الملموسه" حتى عندما كانوا يرسمون ما قد يقال بالموضوعات الاوروبيه".

ما هو العمل فى السبعينات ؟ وماهو الكفاح الجديد المثير الذى ينتظر الفنان الهندى ؟ وتبديل اى نوع من التجربه" وبايه" لغه" ؟

انه ليس بكاف السب بان جملة" من الرسامين المهتزين — الذى قضوا سنوات كثيرة ذات تاثير من حياتهم فى الخارج — بداوا فى رسم صور ' هنديه" ' لايوجد فيها شئ من الهنديه" الا القيل ، ماعدا الشبه الادبى او البشرى او الهندسى البسيط. والوقع ان

الانشغال بالهنديه لهو مصطنع بشكل كبير وفنان اليوم والغد لايستطيع اعتبار هذه السجيه بعد الآن ذات قيمه لانشغاله الواعى.

وقد مررنا بتغييرات اجتياحيه منذ عام ١٩٤٧ . والقليل منها باى حال انعكست فى فننا. والمجموعه الصغيرة المسماة بمدرسه كلكوتا بدأت فى حوالى عام ١٩٤٢ بما يمكن تسميته بالوعى الجديد. واكتسب التقسيم للهند الايضاحات الخطيرة من فرشه 'ستيش غوجرال' وانتج راما تشندرن واروب داس — فى سبيل المثال — الوثائق الشخصيه من القوة والجمال فى مضمون الالم والكرب. ومثال مثل ميرا موكرجى انشغل — كليه — بالشكل الهندى من السبك فى المعدن، وانتج بهذه الوسيله الاوضاع المتحركه بعمق ومحققه الهويه. وقد ذكرت هذه لمجرد توضيح القرارات المرضيه الكثيرة التى كانت منجزة من تراكم واستيعاب التجربه الهنديه، ولاتهدف هذه باى حال الى الاجابه عن سؤال اساسى لكفاح الفنان الهندى من اجل البروز فى الفن المعاصر.

اذ ان الفنان الهندى لايزال امام معركه اساسيه للغايه لم ينتصر فيها بعد وذلك انه ليس واثقا تماما بانه حتى واحد فى المائه من منتجاته سيباع. وهو ليس واثقا من بائع منتجاته، ومن انه اى نوع من البيوت سيزين من اعماله او اى نوع من النقد سينال اعماله، وباختصار اى هدف سيخدمه عمله فى حياة البشريه مهما يكن الفنان شجاعا فى تاكيده على انه يخلق فقط وفق حاجته للخلق وحاجته

للتعبير. وهذه الحاجة" مشروطة" ايضا بالاستعمالات للمنتجات المكتملة".
ودعنا ننظر بايجاز– فى ظهور الصفوة بكونه قضية" اجتماعية".

ان عهد موندرين قد ياتى "كنتيجة" منطقية" لعهد الرسم التعكيبى لامر مقبول. وان التجريد المعاصر قد اتى بعد عهد موندرين ، مقبول ايضا. غير ان الكثير من التركيبات التجريدية" مع الدقة" البسيطة" فى النماذج الهندسية" واللونية" هل سيبقى لفترة طويلة" ، فهو امر يمكن البيان عنه فقط بطلبات سيكلوجية" معينة" اولا : الرغبة" فى حصول الصور للزينة" التى ستستمر– بهنا" ممكن– مع الخطة" اللونية" ، فالمفرشات وواغطية" الفرش والسجية" العامة" للغرفة" والاستعمال.

ثانيا : الوضع البشرى او الوضع الممثل له اقوى بالنسبة" للوضع الجنسى والوطنى والاكلوغى او الوضع الاجتماعى منه للاوضاع الاخرى، بينما التجريد– بنموذجه الحسابى من التفاصيل الانتظامية" وغير الانتظامية"– يصل الى عالمية" معينة" داخل العالم المحدود لمفاهيمه الموروثة" والاشكال المختارة والالوان والميول ، وبتوسيع قدرة التفسير له تصور المشاهد بطريقة" لايستطيع التمثيل ذلك خاصة" حينما يكون البائع من الجنسيات المختلفة" مثل السويدى او السويسرى او البولندى او الدانماركى ، البريطانى او الايطالى . وهذه الاشياء– بينما تصلح لقبول التجريد فى العالم المتقدم تكنولوجيا باكثر– تصبح بشكل اكبر اسورا لاتطاق– باستثناء الاسلوب التقليدى–

فى عالمنا حيث لايوجد بعد ظروف ماديه" وتكنولوجيه" وفكريه" ملائمه".
وكنتيجه" لذلك نجد انفسنا فى وضع حيث اساليبنا المدروسه" تائهه"
وهائمه" حولها مثل السجايا الكثيرة تبحث عن كاتب. وذلك —
فى نظرى— لاننا لانزال فى تلك الحالة" حيث نحن متعطشون لتعبير
الفنان عن اوضاعنا التكنولوجيه" والاجتماعيه" والأقتصاديه" بكل ما فيها
من الارتباك والامتداد، وفق مالاحظه، اورا بووند' فى عام ١٩٢٠
فى قصيدته. ' هو سيلوين موبرلى'

العصر طالب بظهور تقاطيب وجهه المستعجله"
شئ ما للمرحله" الحديثه"،
ليس — باى حال — بنعمه" عاليه"
ليس — بالتاكيد — بشرود مبهم
فى النظر الداخلى.
الاكاذيب احسن
من التقاليد فى التعبير.

ترجمه" الاستاذ عبدالحق

زملنسكي وطاغور
(مقالة على الاتصالات الثقافية)

انيل بهاتى

بما اننا لانزال نسمع من حين لآخر عن الأخذ والعطاء بين الهند والغرب ــ تأخذنا الحيرة عند الشعور بأن الفن الهندى والموسيقى الهنديه لم تتركا على الغرب الا اثرا ضئيلا وان التبادل الحقيقى والمهم بينهما جرى فى مجال الفلسفات والآداب. اما البلدان التى جعلت العوامل الفعاليه تتحرك فى مراكز الفن الاوروبى والموسيقى الاوروبيه حتى اواسط هذا القرن، اكثر من الهند، هى الصين واليابان وجنوب شرق آسيا وافريقيا.

ومن المدهش ان الاوروبيين للقرن التاسع عشر ابدوا اهتمامهم الثانوى للفن الهندى والموسيقى الهنديه وكرسوا عنايتهم الكبرى للافكار والآداب الهنديه. وفى الايام التى كان الشعراء الالمانيون فيها يهتمون بالمواضيع الهنديه غايه الاهتمام، اعرب الشاعر الكبير 'جوئتى' عن اعجابه بتمثيليه كاليداس المعروفه بـ

' شاكنتلا ' فى الابيات التاليه :

' يا زهرة العام الجديد وثمارها المتضائله ان الماضى القديم هو الذى يجتذب الروح وتطربها ويغذيها وهو اسم واحد للارض والسماء كليهما واسميك به يا ' شاكنتلا '.

ولايستحسن الشاعر التماثيل الهنديه حيث يقول فى عدد من اياته البليغه . ومنها مايلى :

' لذا فلا استحسن دخول بهيمه من البهائم فى قاعه الاله.

ان هذه الخراطيم القبيحه للافيال والافاعى المهسهسه حول الاعناق والسلحفاة الالهيه فى اعماق المياه ، ورؤوس الملوك العديدة على جسد واحد — كل هذه سيؤدى بنا حتما الى الخيبه اذا لم يهجره الشوق. '

لذا فمن الظاهر ان مشكله الاتصالات الثقافيه لايمكن تصغيرها الى حد تصريحات اجماليه فى مجالات الفنون الكافه ، ولسوء الحظ ان معظم الاعمال التى ظهرت فى هذه المنطقه هو ايجابى بطبيعته ، وذلك يقلل مشكله الانتقال الثقافى ، الى مسئله للتأثيرات القوميه ، ومن الظاهر ان مجموعه ملحوظه للتاثيرات المتبادله فى الميدان السياسى الثقافى تؤدى الى علاقات طيبه ، وقلما نعرف لماذا يستند الفنانون الى مصادر اجنبيه لمخترعاتهم.

ويمكن لنا ان نستثنى من هذه الكليه مقالا كتبه رامون بلنسكى ، الذى يدلى بتعليقات ممتعه على العناصر المستعارة فى

الموسيقى الغربيه. واوضح ان عمليه الاقتراض فى الموسيقى الغربيه حتى عام الف وثمانمائه كانت تنحصر فى اتخاذ الزخارف والازياء الشرقيه فى الاوبرا. اما من ناحيه الموضوع فكانت عمليه الاقتراض واسعه النطاق فى بعض البلدان خاصه منها تركيا وفرت اصطلاحات مبتذله لادوار التمثيل.

هذا وظهر تغير فى الموقف فى مستهل القرن التاسع عشر. يبحث بلنسكى عن اسباب هذا التغير فى التحول الاجتماعى الاقتصادى الذى كان يجرى آنذاك ، وادى نمو الاستعمار الى تدفق متزايد للمعرفه عن الشرق فى اوروبا. لكن هذه المعلومات الجديدة تغايرت عن المصادر السابقه للمعرفه ومنها محاضرات الرحله الباروكيه وللقرون الوسطى. ظهرت هذه المعلومات وشرحت فى ظروف خصصت للشرق دور منطقه موسعه للاستعمار.

بدأت هذه المعلومات الجديدة يلعب دور ثقافه جذابه مقابل الحقيقه القبيحه للاستعمار، وجاء انتعاش الثقافه الشرقيه بكامل واعطت الصبغه القانونيه لسير الاستعمار. وعلى حد تعبير ' بلنسكى ' اصبح الأشتياق الى الاقتراض حدادا لا شعوريا للاشياء المدمرة وايضا تبريرا اخلاقيا لتوسعه الاستعمار.

وبالرغم من الاقتراض لم يكن هناك أى تبادل واقعى بين موسيقى الغرب والشرق. وربما يعود السبب فى ذلك الى الاذواق المتغايرة للجمال والاساليب المختلفه للعرض والظروف الاجتماعيه

المتنوعه. وحدث تغير واقعى فى الابتكار التقنى فقط. بعد ان بدأ المجتمع الغربى يبحث عن الالهام الروحى فى الشرق على نطاق جماهيرى. وفى نفس الوقت بلغ تطور الموسيقى الغربيه مرحله اتاحت فيه أصوات موسيقى الهنديه فرصه مرحبا بها لانتشار المواد الموسيقيه شكلا ولحنا.

وحتى ذلك الوقت كانت الاصوات الشرقيه تعمل فى الموسيقى الغربيه كنوع من الزخرفه التى مهدت الطريق للاوضاع والاساليب المعينه.

تغير الموقف تدريجيا ببدء القرن العشرين وكان المعرض للملحن الغربى للاتصال المباشر بالموسيقى الشرقيه لاول مرة. وكما يقول 'بلنسكى' فان هناك بونا شاسعا بين التفكير الخيالى فى الموسيقى الشرقيه وتجربتها الواقعيه وكان 'دبوسى' معجبا بالغ الاعجاب بهذه التجربه وكان موقفه من الموسيقى الشرقيه متغايرا فى الواقع عن مواقف سلفه وانه لايهتم بالاشارات الماضيه مثل مايهتم بمشاكل التاليف. لم تعد الموسيقى الشرقيه زخرفه بحته لكنها قد اصبحت الآن عالما مستقلا يجب ان ينظر فيه بمظاهره الخاصه .

ولو ان عمليه اقتراض الموسيقى الخالص مازالت ضئيله، غير ان المواضيع الهنديه نالت طريقها فى النصوص والافكار لموسيقى القرنين التاسع عشر والعشرين. لذا فمن المفهوم كما اشير سابقا

انيل بهاتى

ان الامكانات الادبية للهند هى التى مارست نفوذها لحد ما فى اوروبا. فالف فرانس شوبرت اوبيرا على اساس شاكنتلا. وهذا العمل الذى كان يعتبر حتى الايام الاخيرة مفقودا، عرض لاول مرة فى مهر جان فينا عام ١٩٧٠. واحتوت المقدمات والمؤلفات الموسيقية القصيرة العديدة على المواضيع الهندية.

لكن كل ذلك لم يكن ذا اهمية موسيقية ملحوظة لذا فيجدر بالذكر مثالا فى هذا الخصوص. ادى مصدر ادبى هندى الى تأليف موسيقى غربى مقنع، واعنى بذلك التأليف الغنائى لاليكزاندر 'زملنسكى' المبنى على سبع مقطوعات شعرية لرابندرانات طاغور.

كان طاغور معروفا فى المانيا منذ عام ١٩١٤، على الاقل عند ما صدرت ترجمة 'غيتانجلى' — اول مجموعة شعرية له . وبين عام ١٩١٤ وعام ١٩٢١ ترجمت معظم مقطوعاته الشعرية الهامة الى اللغة الالمانية عن طريق تراجمها الانكليزية للشاعر نفسه . ونظرا لأهمية اللغة الالمانية كذريعة ادبية فى اواسط اوروبا خلال تلك الايام يمكن للمرء ان يتأكد من ان اسم طاغور كان معروفا لدى القارئ المثقف للعشرينات فى اواسط اوروبا . عند ما زار الشاعر المانيا عام ١٩٢١ كان معروفا للغاية وظهر عليه ان المثقفين الالمانيين يؤيدون فكرة اقامة 'وشوا بهارتى' — اى فكرة طاغور لاقامة جامعة عالمية اسست فيما بعد فى شانتى ناكيتن، بنغال الغربية. ولو ان طاغور حصل فى الظاهر على قدر من

الشعبيه" والقبول لكنه ظهر فى زى الفيلسوف ريثما فشل فى اجتذاب الناس من حيث الشاعر وبتعبير آخر يمكن ان يقال انه فى التوصل الى الالمانيين بواسطة" الانكليزيه" منيت تاليفاته بنوع من الانعطاف المزدوج ، ومهما كانت الصورة الاصليه" الا ان عكسها الذى ظهر فى اوروبا كان عكسا للغموض والاشتياق والامل . على كل حال لائم هذا مع برنامج كثير من الفنانين الالمانيين .

قبل ان تتناول المؤلفات الموسيقيه" الكبيرة المبنيه" على منظومات طاغور ، يبدو من اللازم ان نذكر بايجاز تأثيره فى شخصيته احد المؤلفين الكبار لهذا القرن وهو ' ليوز جاناسيك . كان طاغور فى براغ عام ١٩٢١ وقرأ شعره امام الناس ، تأثر بذلك ' جاناسيك ' لحد انه شعر بان نوعا من التاليف ضرورى للتعبير المناسب عن انطباعه بشأن تلك المناسبه" . فالف تاليفه المعروف ' الرجل المجنون المتوحش '– فى الواقع تاثر ' جاناسيك ' لحد اكبر بالاسلوب الخطابى لطاغور و بداله كانما ظهرت شعله" حارة بيضاء على رؤوس آلاف من الحاضرين فى الحفله" عند ما بسط طاغور النغمه" الموسيقيه" بكل مقطوعاته وفيها ما يبعثنى على الانشاد معه بالاوتار المبهجه". هذا ما يلقى ضوءا جانبيا ممتعا على تصور ' جاناسيك ' باللحن والتعبير الموسيقى الذى اتخذه طاغور فى اوبيراته . ومن ناحيه" انتقال نص ادبى لثقافه" الى فن مختلف من ثقافه" اخرى فان التاليف الغنائى للفنان النمساوى زملنسكى والمبنى على مقطوعات

طاغور لممتع للغايه . يستحق كل من المقطوعات الشعريه والتاليف الغنائى لبعض التعليق ، خاصه وان التاليف ليس معروفا كل المعرفه .

ولد اليكزاندر زملنسكى فى فينا فى ١٤ اكتوبر عام ١٨٧١ ونال صيتا من حيث مؤلف و منظم للموسيقى فى فينا وبراغ وبرلين . وبانتشار الفاشستيه الأوروبيه لقى زملنسكى ما لقيه من الحظ عدة مثقفين وفنانين لأواسط اوروبا . ولما بلغ من العمر ستين سنة اضطر للفرار من برلين الى فينا ثم الى نيو يارك حيث توفى فى ١٦ مايو ١٩٤٢ . كان آرنالد اسكان برغ من بين طلاب زملنسكى وقد كتب عدة مقالات على شخصية معلمه وافاض عليه المدح والثنا . كان شخصيه اسكان برغ العظيمه فوق العادة من بين الاسباب التى جعل الناس ينسون عاجلا كثيرا من معاصريه لكن اسكان برغ فى حد ذاته كان يكن احتراما بالغا لمؤلفات زملنسكى مقتنعا بأن زمانه سيأتى قريبا . ومن الممكن فى اعقاب نهضة ' مهلير ' انه سيكشف النقاب عن المؤلفين الاقل تاليفا مثل زملنسكى . لا يمكن لفنان ان يبقى بفضل مختاراته فحسب . الحقيقه ان نجاح تاليف غنائى اخير يبعثنا على الاقل بان التاليفات الاخرى ايضا لهذا المؤلف ستخرج من غياهب الجهل والنسيان .

كان هذا التاليف الغنائى ، عرض اولا تحت توجيهه المؤلف نفسه فى براغ فى ٤ يناير ١٩٢٤ . اما المنظومات السبعة التى اختارها زملنسكى للتاليف فهى من مجموعات طاغور المعروفه بـ

' دى جاردنار ' (البستانى)

(١) ' انى مضطرب وعطشان غنيت هذه المقطوعه" الشعريه" بلحن باريتون ويشئ من العاطفيه" والحنين .

(٢) يا أم ، سيمر الامير الشاب ببابك ' تذكر هذه الاغنيه" وانسجام لحنها ' بسوبران ' .

(٣) ' انت غيم المساء تتجول فى سماء احلامى ' (بلحن باريتون)

(٤) ' تحدثى الى يا حبيبتى ' (بصوت سوبران)

تعكس هنده الاغنيه" جوا مغريا و جذابا

(٥) ' اطلقينى من قيد حلاوتك يا حبيبتى ' (بلحن باويتون)

هذه الاغنيه" رد على الاغنيه" الثالثه" ومليئه" بالعواطف .

(٦) ' اذن اكملى الاغنيه" الاخيرة ، خلنا نفارق ' (بلحن سوبران)

(٧) ' الهدوء ! يا قلبى ، اجعلى وقت الفراق حلوا '

بعد شرة العاطفيه" المتزائدة ينتهى التأليف بشعور من الحزن والالم .

هذا وان الملاحظات التقديميه" لزملنسكى ذاته عن تأليفه لمتعه" . تؤدى الكيفيه" المتغيرة للاغانى بالسامع المؤقت الى شعور بأن هذا العمل عار من الانسجام لكن هذا الانطباع انطباع ضال . يوضح زملنسكى ان الذى يدل على وحدة داخليه" فى المقطوعات الشعريه" السبع هو انه اختارها ورتبها فى سلك واحد . هناك فكرة هامه" تتكرر فى السمفونيه" تشير الى الوحدة والانسجام . ويصر

زملنسكى انه يلزم للمنظم ابراز هذه الوحدة . لا يوجد فى السمفونيه" اى انقطاع كما ليس هناك توقف من اى نوع بين منظوم وآخر .

يصر زملنسكى بصفه" خاصه" على ان الجديه" البالغه" والعاطفيه" العميقه" للعمل يجب ان تنال تعبيرا صحيحا . الاغنيه" الاولى من السمفونيه" تضع الاسلوب الاساسى بكاملها وان شرح باقى الاغانى متأثر بهذا الاسلوب . اما الاغنيه" الثانيه" فانها تخدم غايه" السمفونيه" التقليديه" ، ' شيرزور ' والاغنيه" الثالثه" يجب ان لايستخدم كأغنيه" رقيقه" للحب . والجدير بالملاحظه" ان زملنسكى ترغب فى تجنب العاطفيه" وهو فى الواقع خبير بخطرها . وهذا ما يعطى عمله الاهميه" التى يستحقها .

اللغه" الموسيقيه" للسمفونيه" تفوق ما يدعى ماضى الموسيقى الرومانيه" الأخيرة . يستعمل. هذا الاصطلاح لوصف المؤلفات الموسيقيه" لفترة ما بين وفاة ' واغنر ' وانفجار الحرب العالميه" الاولى . حاول عدد من المؤلفين لهذه الفترة انعاش الأحلام الرومانتيكيه". والجدير بالذكر منهم ' هانس فتزنر '. لكن كما اوضح رودولف استيفن فان هذا ادى الى خليط للاعتقاد البسيط فى التقدم وحنين مبالغ فيه لاحياء الماضى. يجب ان يدرك بوضوح ان الفرق بين زملنسكى وهانس فتزنر يكمن بدقه" فى هذا الامر. يؤلف زملنسكى ما يشوق الى النوادر ولا الى احياء الماضى الرجعى او الاقطاعى .

يشير استيفن ايضا الى أن معظم المؤلفات الفنيه" لتلك الفترة

متصفه" بنوع من محاوله" رکیکه" للتوفیق بین المعتقدات المتعارضه" لکن الذی یمیز عددا من هذه المؤلفات انها تجتهد لمکان اعلی لیس موجودا فی الظاهر لکنه شی' مستحضر من العهد الماضی. ان الوصف الاثری لهذه المؤلفات و بادرة الثقه" یتضح اذا ادرکنا ان الاتوبیا المطلوب هو بعید المنال وربما لا یمکن التوصل الیه ابدا. یتحدث عنه الفنان فی محاوله" لامساك اللمحات المتهربه" فی تیار وحید للرموز. و لاغرو فی ان بعض اعمال ' ماهلیر او السمفونیه" الغنائیه" لزملنسکی تتصف ببدایه" واثقه" ونهایه" هادئه" کهذه.

مثل اعمال ' ماه لیر ' او ' شونبرغ '

تنتمی السمفونیه" الغنائیه" لزملنسکی الی اسلوب کان ممتازا للغایه" فی نهایه" القرن. یقترح أستیفن بان هذه الاعمال یجب ان تعتبر خلفا ' لاوراتوریو ' من ناحیتی الحجم والمعنی وهی مبنیه" علی الغنا' والعزف معا وهی تشتمل عادة موضوعا داخلیا. فی الموسیقی الکبیرة مثل السمفونیه" الثامنه" ' لماه لیر ' یجد المرء ان هذه الموسیقی تحمل مطامح فلسفیه" وان هذه الاعمال خلف للسمفونیه" الکلاسیکیه".

علی کل حال یجب ان لاتؤدی بنا الاثریه" الظاهرة والحجم الاکبر لهذه الاعمال بانها متفاخرة او متمیزة بالزخرفه". ینطبق علی عمل زملنسکی ما ینطبق علی سمفونیات ماه لیر. لاشك ان

هذه موسيقى فلسفية لكن ليس فيها ما يفهم او يدرك.

انه لمن الواضح فى هذا العمل ان النص لم يستخدم كزخرفة لكنه جزء لا يتجزأ من العمل، الذى يعطى التعبير لاسلوب سائد فى اوروبا فى نهاية هذا القرن. بالنسبة لآرنالد هاوسير، فان الفترة امتازت بأزمة ثقافية ادت الى نوعين من الانسحاب عن المجتمع. الاول منهما بوهيمى، والثانى يتكون ممن هربوا من الحضارة الغربية. يجب ان يذكر هذا الامر بوضاحة ودقة اكثر مما ذكره ارنالد هاوسير. ومع ان الهرب ايضا من مزايا زملنسكى لكنه فى ذلك غير محسوس. كما ان المسافة النادرة التى اظهرت هى رمزية على الاطلاق وهذا فرق هام بين عمله والموجة الكبيرة الثانية للفرار الغربى الذى غر به فى عهدنا هذا. ان الشرقية الرمزية للعهد الماضى قد مضت وحلت محلها هند واقعية يقدم اليها الشباب من الغرب باعتقاد ضال بأن الخلاص والسلام لها حدود جغرافية.

تعريب: محمد رضا احمد الصديقى

اشوكاميترن على منضــدة الاستقبال

عرفها منذ اللحظة التى دخلت الباب ولكنه تشاغل فى عمل لم يكن له اى وجود ، ولم يرفع رأسه ولو مرة واحدة طوال تلك الدقائق الثلاث التى اخذتها فى قطع مئة ياردة من الباب الى منضدة الاستقبال ، ولو انه استطاع ان يشعر بقدومها اليه بوضوح اكثر منه لوكان قد استعمل عينيه بدون الخوف من حلول موقف مزعج مشرف ، وتثاقلت المرأة قليلا على الباب، ولكنها كانت الآن امام منضدته ولم يستطع ان يبقى نفسه مشغولا فى عمل كان يعمله او لايعمله بتاتا. ابتسمت له معتذرة ولكنه واجهها بعبوس مصطنع وسألها : نعم ؟

' اود ان اقابل المدير ' .

' هو ليس بموجود فى هذا الوقت ' .

' اوه ' .

وفتح درجا واخرج منه ملفا ، وبدأ يتفحص اوراقه كأنه اراد ان يظهر لها ان شغلها معه قد انتهى . ولكنها لم تتزحزح ولم تتقلقل ، بل ظلت واقفة تنظر اليه فى اصغاء ملغز واغلق الملفة اذ لم يكن هنا العمل فى الحقيقة ذا جدوى والتفت اليها وسألها مرة اخرى ' نعم ' ؟

' متى يرجع المدير ؟ '

' لا اعرف ، ارى ان كان عليك ، مع العفو ، ان تضربى التلفون لسكرتير المدير اثناء ساعات العمل وتحددى لك موعدا قبل قدومك . مع الاسف ليس بامكانى شئ ، وانما السكرتير يستطيع ان يفيدك متى يمكنك ان تقابلى المالك اذا ما رضى بمقابلتك . ثم قدم اليها قطعة من الورق ، اخذتها منه طيعة بخضوع ، وبعد لمحات قالت : ' احتفظ فعلا هذا الرقم ، اعطيتنيها فى المرة السابقة . ''

' اذن كان من الممكن ان تتصلى به تليفونيا قبل القدوم ولو كنت فعلت ذلك لتوقيت من هذا الاتعاب لنفسك ، ولما اضطررت ان تخرجى فى هذه الشمس المحرقة . ' فابتسمت ابتسامة منبعثة من عميق معرفة ولكنها كانت خالية من اى تهكم او استهزاء فقالت : ' نعم لقد حاولت مرتين ولكن لم يتيسر لى الاتصال بالسكرتير على الخط . وكان لهذا المكتب ثلاثة خطوط للتليفون ، ولذا كان يعرف ان الاتصال تليفونيا عادة عسير جدا الا ان يكون للمتصل صلة قريبة او غير عادية بالتليفون ولكنه بالرغم من ذلك سألها

فهل حاولت اليوم ؟

' لا '

' اذن ماذا علينا . . . . ؟ '

لم تكن غاضبه" عليه ولم يجعله موقفها منه الا ان يتحرك في مقعده اكثر .

' من فضلك ، هل تتكرم على الاقل باخبار السكرتير بمجيئى ؟ '

لم يرد عليه بشئ ، بل اخرج اليها استمارة الزيارة واعطاها قائله .

' ارجوك ان تملئيها ، سارسلها على الفور الى السكرتير '

صدفه" لم يكن عندها شئ للكتابه" ، فاعطاها قلمه . انحنت على المنضدة بحيث كادت ان تمسها بانفاسها ، وبعد تقويم يدها بجهد جهيد كتبت عليها ' مسز ابراهام قاضيه" الشرف ' وناولها اياه . فملأ عليها التاريخ والوقت وارسلها الى السكرتير بواسطه" الخادم . ثم قال لها : تفضلى ، خذى الكرسى ، الجواب آت بعد قليل . '

ابتسمت لها شاكرة ، وتحركت الى ناحيه" فى الشرفه" حيث كانت منضدة صغيرة موضوعه" مع كراسى حولها .

وقام رجلان او ثلاثه" جلوس هناك من على مقاعدهم ، كانهم قاموا عن غير عمد ومقصد ، حينما رأوا سيدة تتقدم الى هذه الناحيه" .

كانت هذه طاعنة" فى السن ، باديه" الفقر والبوس ، ولكن

احاط بها نوع من المجد والرشاقة ما يجلب لها الاحترام. فما جلست فى احدى الكراسى الا بدت مطمئنة ومتسالمة مع الدنيا.

دق جرس التليفون من السكرتير، فظن انه بشأن السيدة ولكن السكرتير طلب اليه ان يرسل السائق على الفور الى غرفته، فقال على التليفون: سيدى هناك امرأة تنتظر. ' ولكن طار صوته فى الفضاء لأن السكرتير كان قد وضع السماعة، وبعد لمحات خرجت السيارة تقل السكرتير ومرت بمنضدة الاستقبال.

فناداها قائلا: 'مسز ابراهام، ان السكرتير قد خرج.' فقامت هى من المقعد مستعجلة وسألت: فهل لم يجد استمارتى؟ '

لابد وان وجدها، ولكن ربما ترك غرفته فور وصولها اليه، لعله ذاهب لشغل هام جدا. '

' اذن لم يعرف اننى جئت. '

' ربما '.

' اوه '.

بدت على وجهها امارات القلق وغابت ابتسامتها.

' هل ترى انه سوف يرجع متأخرا؟ '

الواقع، يا امى! ليست عندى عن ذلك فكرة، الا انه ربما يعود فى مثل ساعة. ' وما ان خرجت كلمة 'امى' من فيه الا تنبه وشعر بأنه لم تبادر منه هذه الا لانها تستعمل فى اللغة التاملية عند مخاطبة المرأة تكريما واحتراما لها.

' اذن انا سأنتظر له. '

' لا بأس، الا ان يكون لديك شغل عاجل '

وما زالت حتى ذاك الحين تتريث بجانب المنضدة وسألته بغايه‍ الرفق : ' هل تسمح ان آخذ كاسا من الماء ؟ '

' اى نعم، وبكل سرور. '

ما برحت واقفه‍ بجانب المنضدة حتى اوتى لها الماء فشربته على مهل ، وبعد الانتهاء منه قالت : ' انا منتظرة للسكرتير. '

' ارجوك ان تخبره عنى بعد رجوعه. '

كان اليوم شديد الحر ، والمواصلات على الشوارع اقتصرت على باصات وعربات النقل والحمل . وكان للمكتب بابان ، احدهما للدخول والآخر للخروج ، ووضعت منضدة الاستقبال فى وسط محراب متصل الى البابين تحيط به ساحه‍ خضراء شبه دائريه‍ ، وكانت جدران الفناء شامخه‍ اكثر من العادة المتبعه‍ لجدران المكاتب . ومن ثم لم يكن للجالس فى غرفه‍ الاستقبال ان ينظر الى الشارع الا ما تظهر له من فرجه‍ بين البابين . وكانت وراء الشارع كنيسه‍ مع ساعه‍ دقاقه‍ ، فسمعها تدق الساعه‍ الثانيه‍ عشرة . وكانت المروحه‍ تحت السقف تدور بجنون ، ولكن كان محروما من نسيم منشط ، وحشائش الساحه‍ امامه كانت معظمها صفراء . ومع انه كانت فى الساحه‍ سناجيب كثيرة تنط وتقفز حينا بعد حين عبر الخضرة ، ولكنه لم ينظر احدا منهما منذ وقت طويل . وكانت

المرأة واقفه امام المنضدة مركزة عينيها على اللوحه بنظرات كئيبه شاخصه غارقه فى فكر عميق . وود لو جلست فى مكان ولا تبقى واقفه امامه . لقد حضرت هذه المرأة الى المكتب عدة مرات ، وجاءت حيناما برسالة مكتوبه وحينا آخر كتبت رساله بعد وصولها اليه ، والرسائل كلها كتبت الى المالك . وبالرغم من انها ختمت كل رساله منها قبل تسليمها اليه لارسالها الى مكتب المدير استطاع ان يطلع على محتوياتها . كلها اشتملت على رجاء وطلب للمساعدة او للنقود ، ولم يقابلها المالك شخصيا قط . ولكن فى كثير من الاوقات جاء جوابه فى ظروف مختومه فتحتها المرأة على الفور واشتملت الظروف على بعض النقود . ولكن لم يحدث هذا فى كل مرة ، ولم تستجلب رسائلها فى بعض الايام مثل هذه الاجابه بل طلب اليها ان تأتى فيما بعد او ان تضرب التليفون . وفى معظم الاوقات نصحت بضرب التليفون . جاءت هذه التعليمات والظروف دائما من السكرتير . ولا يبعد ان المالك لم يتعرف عليها شخصيا قط ، وانه ارسل هذه المبالغ الضئيله اجابه على طلباتها ولا غير . وآثر دائما ارسال المبلغ لأن دعوتها اليه واعطاء المبالغ اياها شخصيا ربما وضعها فى موقف حرج ، فان المعونه المرسله بواسطه شخص آخر تقل دائما من جرح المستعطى . واما الآن ، فلم يكن فى المكتب لا المدير ولا السكرتير ، تمنى ان يرجع المالك بسرعه لكى تذهب هى عن منضدة الاستقبال ، وكانت حتى الآن واقفه

امامه بوجوم كامل حتى تحير متفكرا هل تتنفس، فانها كانت واقفة في صموت، لا حراك بها .

' لماذا لاتجلسين ؟ '

لم تسمع قوله هذا ، فعض على شفتيه وحاول ان يتجاهل ويتناسى شخصها ، ولكن قبل ان تمضي دقيقة عاد يسئلها :

'من فضلك اجلسي '

' هون ؟ '

' قلت لك ، ارجوك ان تجلسي وتنتظرى ، فانه قد يمضى نصف ساعة او حتى وساعة قبل ان يرجع احدهما .'

' متشكرة ، من الواجب الا ازعجك . '

' كلا ، ابدا ، '

وظلت واقفة حيث كانت ، كأنها عاجزة عن الوصول الى قرار .

لم يتمالك نفسه الا ان يسئلها : هل نطلب لك فنجانا من القهوة ؟

' ماذا ؟ '

' القهوة '

' لماذا — ؟ '

رأيت انك لا تشعرين بازعاج فان القهوة هو الشئ الوحيد الذى نستطيع ان نقدمه هنا .

وتبسمت له ، وخاف هو بدوره عسى ان يكون قد جرح شعورها .

حسنا ، بارك الله لك .

شعر بارتياح وهدوء وطلب لها فنجانا من القهوة وابتسمت له السيدة بلطف ، فسألها قائلا اذن انت قاضيه الشرف .

' اوه كان هذا قبل مدة طويله . '

' وماذا يفعل المستر ابراهام ؟ '

' توفى زوجى منذ خمسه عشر عاما . '

' بقيه الله خير لكم ، اليس لك ابناء او بنات ؟ '

' لى ابنان وبنت ، ولكن هل تقصد انهم يعتنون بى ؟ آه - لا ، قد كبروا كلهم ، وعند ما يكبر الاولاد تحدث فيهم عدة تغيرات ، ولكن لا اشكوهم فأنهم ليسوا باثريا . لهم اولادهم واصهارهم والاقارب الاخرى لازواجهم . وفوق ذلك لست فى هذه الحاله الا منذ ثلاثه اعوام فقط . لم اعتمد قط على اولادى ولم انظر اليهم لايه مساعدة ماليه وغيرها طوال السنين ، واذا لم تعمل شيئا لاعوام كثيرة يصعب عليك ان تبدأه فجأة . '

' آه ، مايدرينى لماذا هذا الوقت الطويل فى وصول فنجان من القهوة . '

' لا بأس ، لأننى سأنتظر على كل حال ولا احد هنا من يحفل بى . تركت البحث عن مثل هذا الشخص . لك ان تعرف ان قطع هذه الاميال الثلاثه او الاربعه ماشيه على الاقدام الى هنا لأسهل علىّ من انهاك فكرى فى البحث عن من يحفل بى . '

ولم تحضر القهوة حتى الان ، فقال لها : من فضلك لو جلست على تلك المنضدة لكى انهى عملى ، فانه على ان اكمل بعض الحسابات.

' وهو كذلك ، وبكل سرور ، لايحسن بى ان ازعجك وانا الأخرى اشعر بتعب ، فان جميع انواع المشقه والمحنه ، كما تعرف ، تقصدك عندما تعوزك النقود. '

و مشت نحو الكراسى وجذبت كرسيا الى المنضدة وجلست عليه ووضعت رأسها على المنضدة. ولما جاءت القهوة نهائيا اضطر الى ان يوقظها من النوم.

وازدادت المواصلات فجأة على الشوارع فادرك بان الوقت حول الساعه الواحدة. ان هذا وقت غداءه ، ولكن دخل السكرتير فى نفس الوقت ، فانتظر لبضع دقائق ثم ضرب له التليفون ، قائلا ' سيدى تنتظر المسز ابراهام فى غرفه الاستقبال. '

' ماذا تريد هى ؟ '

' قالت انها ترغب فى مقابله المالك . '

' اطلب منها ان تضرب التيلفون ، فى ما بعد '

فوضع السماعه ونظر الى المرأة التى كانت غارقه فى النوم فضرب التليفون الى السكرتير مرة اخرى وقال له ، ' انا هنا يا سيدى مرة اخرى ، انها تنتظر منذ وقت طويل وتبدو انها فى حاجه ماسه الى المساعدة. '

' المالك لم يرجع حتى الآن ولا يتوقع عودته قبل يومين. فاسألها ان تضرب التيليفون فى وقت ، بعد اليومين او دعها تكتب رسالة . '

وكانت المرأة الى الآن نائمة وادرك ان جميع زملاءه خرجوا فعلا الى المطعم ، ودخل نائبه لوقت الغداء فى هذا الوقت على غير المعتاد ولكن ظلت المرأة غارقه فى نومها.

' مسز ابراهام ' ناداها برفق ولطف ، ثم ذهب اليها وكان وجهها جافا ومليئا بالتجاعيد ولكنها بدت مطمئنة فناداها مرة اخرى متقربا اليها حتى كاد ان يمس كتفيها ' مسز ابراهام '.

وهذا المرة انتبهت من نومها وشخصت اليها لثانية ثم قامت على قدميها . ' لن يعود المالك الى المكتب قبل يومين، ولايمكن شئ بدون تعليماته ، ومن ثمة لايجديك الانتظار شيئا '.

' آه ، كذا ؟ '

' يقول السكرتير لو كتبت رسالة فسيرى ان رسالتك تحظى باول التفات ممكن من المالك . '

' رسالة ؟ '

' نعم ' ساعطيك الورق يمكن لك ان تكتبى الرسالة هنا . '

وبدت كأنها لاتسمع قوله فلبث ينتظر الرد منها وتحركت ماشية نحو الباب فسألها قائلا الاتكتبين الرسالة الان ، فانه ستوفر عليك مشقة المجيئ هنا ، وقطع هذه المسافة ، واذا وصل جواب

من المالك على رسالتك فسيرسل اليك على الفور .

' هذا ليس بضرورى ولا داعيهٓ الى ذلك . '

ونزلت من السلالم وتتحرك رويدا رويدا نحو الباب فذهب اليها وقال لها امى اذا لم يزعجك ، لماذا لاتذهبين الى البيت بالباص .

ونظرت الى ورق روبيهٓ كان يقدمه اليها فاخذته من يده ولكن لاكسائل مستلم بل مثل الذى لايسعه ارباك الغير برفض معروفه ،

ولكنه لم يشعر لجرح فى كرامته اذا لم تظهر ادنى تشكر على معروفه وعاد الى مقعده وراقبها تتهادى نحو الباب ، ومسكت ورقهٓ الروبيهٓ فى يدها طول الطريق ، ولما كانت تعبر الباب على نحو مئهٓ باردة منه رأى ورقهٓ الروبيهٓ تنزلق من يدها وتسقط على الارض ، وغابت بعد لحظات عن بصره فاذا هو بعد ثانيهٓ ينظر احد المارة على الشارع عند الباب يلقى نظره على الارض ويلقط منها شيئا ويمضى فى سبيله . ولم يستطع ان يتبين من منضدته ماذا كان هذا الشئ ، ومن التقطه ، ولم يرالمرأة مرة اخرى بعد اليوم .

تعريب : ص• ناصرالانصارى غفرله

عــــد يا مالكى

ك.س.دوجل

كانت ' نيلى ' بيضا' ، كانها قرصه' من الزبدة التى غسلت الحليب وكانت قويه' البنيه' جميله' المنظر .

' ان حليب بقرة صحيحه' الجسم جميله' الشكل يكون مثلها صحيا. ' كانت هذه احدى المقولات المفضله' لدى زوجتى ، فلم يكن من المدهش اذن ان تكون هى قد انتخبت ' نيلى ' من قطيع الراعى الكبير من البقر.

كانت ' نيلى ' تساق كل صباح الى منزلنا ، تملأ الاناء بالحليب الحار الطيب الرائحه' وهى واقفه' تحت شجرة ' بيبل '. ثم كانت تعود مع مالكها.

جائت ' نيلى ' الى منزلنا مصحوبه' مع الحالب الذى كان يحمل علفها على رأسه فى معلفه' خشبيه' ما كان يضعها امام نيلى ويربت جلدها بيده الكبيرة المجعدة البارزة العروق . ثم بعد ربت

نهائى كان يجلس عندها ممسكا الاناء بين ركبتيه فاذا بالخيوط الفضية من الحليب تحدث نغمات سارة فى الاناء الصفرى.

وما دام الحالب هكذا مشغولا استمرت 'نيلى' تتذوق من المعلف، من هنا وهناك، العلف المخلوط بالنخالة والكسب وبذور القطن. وكان تقديم العلف الدسم الوافر الى نيلى احد الشروط التى وضعتها زوجتى. وكثيرا ما تفحصت بنفسها محتويات المعلفة، فانها اعتقدت بأن توفير الغذاء بل الجود به للمواشى يعود بحليب احسن وزبدة اكثر.

جاءت نيلى كل صباح الى منزلنا ولاح بنشاطها وسرعتها عند دخولها الباب، انها فارغة الصبر تماما. وطالما تحيرت مفكرا اذا كان توقها هذا لأجل علف دسم لذيذ او لأنها فى غاية الاشتياق الى خلوها من حمل الحليب.

وهكذا حضرت نيلى كل يوم الى منزلنا، وجاءت كل صباح مبكرا عندما كنا اما نائمين اوكنا قد استيقظنا حاليا، وبعد ترك الانغام الخلابة فى جرة صفرية كانت تعود برزانة وسكوت مصحوبة مع اللبان.

مرت عدة شهور على هذه الحال، ثم سمعنا فجأة ان نيلى رفضت الحليب، ولما عادت الى دارنا بعد عدة اسابيع كان يصحبه عجل صغير ناعم ابيض، ذو عينين بريئتين براقتين. ولعل استهلاكنا الحليب فى الظاهر اصبح مشروطا بخضوعها الصباحى، اذ كنا

نشترى الحليب ، وتعود الحالب ان يجذب آخر قطرة من ضرعها ليزيد من مقدار الحليب ، واحست زوجتى بذلك اى انه لايترك الحليب فى الضرع للعجل بتاتا ، فحذرته مرارا بانه يجوع العجل ، ولكن الحالب لم يستمع لها ولم يلق الى نصيحتها بالا .

ثم بدأ اللبان يقتر فى علف نيلى ايضا ، لعله رأى ان نيلى مع عجل رضيع لاتحتاج الى مزيد من العلف فى اعطاء اللبن ، شكت زوجتى مرارا ان الحليب لم يعد الان من الجودة على مستوى كان عليه سابقا ، وكانت زوجتى كذلك قلقة بان العجل لم يزل يضعف فكانه مجموعة من عظام . وكيف لا ، فانه جائع دوما .

ولم يكن جواب الحالب فى كل مرة الا ان نيلى تخفى شيئا من الحليب للعجل . ولكى يبرهن قوله هذا كان يريها العجل الذى كان يمتص ضرعها الجاف بلسانه ، ولما تظهرو لها نالاسنان .

ولكن حدث ما خافته زوجتى ، مات العجل جوعا وسغبا . عند ما جاء الينا اللبان فى الصباح التالى بادى الحزن لم تكن نيلى معه واخبرنا بحزن والم ان العجل قد مات ، وان نيلى لم تأكل شيئا منذ صباح امس ، وقال لنا انه سيهيىء لنا الحليب من مكان آخر . فطبعا تألمت زوجتى وشعرت بمرارة الحزن ولم تستطع عن ان تعفو عن اللبان ، انه اهلك العجل عن عمد منه ، فلا غرو اذا رفضت نيلى اعطاء الحليب .

' هو حمار ' قالت زوجتى بعد ذهاب اللبان ، وكانت لهجتها

تنم عن الرثاء اكثر منها من الغضب . قالت متأسفة : انه لتوفير بضع اونسات من الحليب كل يوم ، اضاع العجل الذى كان له ان يصبح فى اوانه بقرة سمينة .

وجاءت نيلى فى الصباح التالى ووقفت واجمة شاردة الفكر على الباب ، مع انه كان من دابها ان تحاول لفتح الباب بقرنيها اذا وجدته مغلقا ، ولكنها لم تعمل اليوم شيئا هكذا بل وتلكأت على الباب بنظرات شاحبة يائسة .

وتقدم اللبان وفتح الباب وتبعته نيلى بخطوات بطيئة مكرهة . وشاهدت المنظر من الشرفة وكانت زوجتى واقفة بجانبى ضامة بنتها الصغيرة الى صدرها .

ووضع اللبان المعلف تحت شجرة ' ببيل ' واخذ يحرك محتوياته لنشر الرائحة الطيبة من الكسبة ، ولكن نيلى لم تكن قد وصلت محلها الى الان وقد بدا ان رائحة الكسبة لم تعد تغريها . ولما وصلت نهائيا الى مكانها المعتاد ، تجاهلت المعلف كليا ، وادخل اللبان مرة اخرى يده فى المعلف ورفع قبضة من الحمص وقدمها الى نيلى .

وتقدمت نيلى نحو اللبان خطوة ثم توقفت وبدت مرة اخرى كأنها تتقدم ، ولكن فجأة صرفت وجهها وظهر كأن المعلف المشتمل على الحمص والكسب وبذور القطن والغذاء الدسم لم يبق لها شيئا ذا شأن .

اخذ اللبان يدغدغ ناصية نيلى بلطف ورأفة وهمهم لها برفق ، ثم جلس بجانب المعلف وحركه مرة اخرى فانتشرت رائحة الكسب وتنبهت نيلى من غفوتها وحلمها ، وتلقائيا انجذبت الى المعلف والقت فمها عليه ولكنها لم تأكل . وبعد برهة انزحفت وانصرفت عن المعلف شيئا فشيئا . لم تستطع ان تأكل شيئا اليوم ، رمى اللبان نظرة متحيرة الينا ثم رفع المعلف على رأسه وخرج من الباب تتبعه نيلى .

' لأجل قليل من الحليب قتل المخلوق الصغير ' تمتمت زوجتى بالم عند ما دخلت الدار تطلب الى الخادم ان يأتى بالحليب من السوق . وكنت الى الان ارى اللبان ماشيا على الشارع حاملا المعلف فى يده تمشى وراءه نيلى ببطؤ وكره ، كأنها تتلمس فى الظلام .

' هات قليلا من روث البقر ايضا من الملبن ، فان الغد يوم ' سنك راته ' المقدس ، سنحتاج الى الروث لتنظيف المطبخ ' ، سمعت زوجتى تلقى تعليمات اخرى الى الخادم .

وكانت نيلى تتغيب تدريجيا فى البعد مثل طيارة ورقية يفصم خيطها . وفى الصباح التالى سمعت الباب يفتح قبل الوقت المعتاد . كان هذا اللبان ونيلى ، وقد خرجت الى الشرفة ، ورايت نيلى تمد منخريها نحو المعلف الموضوع على رأس اللبان . رأيت ذلك وقلت فى نفسى لعل اللبان انتصر فى الحرب . ولم اكن مخطئا فى ذلك ، فانه عند ما وضع اللبان المعلف تحت شجرة ' بيبل ' تقدمت نيلى

الى الامام واخذت تأكل . كانت قد امضت يومين كاملين بدون علف. ولما رآها اللبان تأكل العلف جلس بجانبها مع الجرة وتزحزحت نيلى الى ناحيه" .

ولوى اللبان وجهه لالقاء النظرة على المعلف . كانت نيلى منهمكه" فى الاكل مدخله" رأسها فى المعلف. ولما اطمأن من جديد تقرب اليها اكثر، ولكن نيلى تزحزحت ابعد . وقام اللبان يائسا مغتما . واستمرت نيلى تقضم العلف على مهل وراسها فى داخل المعلف ، كانت جائعه" منذ يومين .

وانتظر اللبان لبضع دقائق ثم حك جلدها بلطف وطبطبه برؤس الاصابع وربتها على ظهرها وجلس مرة اخرى لحلبها حين وجدها منهمكه" فى المضغ والاكل ولكن بمجرد ان مس اللبان ضرعها قفزت فجأة .

وبعد برهه" حاول اللبان مرة ثانيه" ولكن نيلى توثبت ولكدت باحدى رجليها الخلفيتين كأنما عيل صبرها .

وغضب اللبان غضبا شديدا ونظر الى نيلى نظرة غضب ولكنها واصلت المضغ بهدوء ، كأن شيئا لم يحدث . وجذب اللبان المعلف وحمله على رأسه ومشى غاضبا ، وبقيت نيلى متحيرة مشدوهه" لثانيه" ثم التفتت وهى ترنو الى الجهه" التى ذهب اليها اللبان . ولما وصل اللبان الباب خارت نيلى ولكن اللبان لم يتوقف . وظلت نيلى لزمن طويل ترنوا الى تلك الجهه" مركزة عينيها على الباب

ك . س . دوجل

متحسرة متأسفة وانتظرت اللبان مخرجة من فيها خوارا راثيا كأنها كانت تقول ' عد يا مالكي '، لا تمتني فاقة وخوفا فان الخسارة التي احلها الله بي ليست تافهة ، مالكي ، مالكي! الا تفهم انني فقدت عجلي الذي كان قطعة من لحمي وجزءا من دمي ، عد يا مالكي ! اني لي ان اقول بانني ارفض لك الحليب ، ساعطيك اللبن وسانسى في يوم او يومين، عجلي الحبيب ، وحين ذاك سيمكنك ان تحلبني ، يمكنك بعد وضع العلف امامي ، ان تحلب آخر قطرة من ضرعي ، عد الى يا مالكي! لا تمتني جوعا ، انا ساغبة ، عد يا صاحبي. . . '

وظلت نيلي واقفة تحت شجرة ' بيبل ' ترنو بثبات الى الباب ..... ولكن اللبان لم يعد .....

تعريب : صلاح الدين ناصر الانصاري غفرله

يوغيش اتل ديناميكية بناء الوطن

ان الاسلوب السياسى الذى لقنه غاندى انتشر فى كافة انحاء العالم ' ان الخليط بين العادة والعصريه فى معالجته المشاكل للمجتمع الانسانى السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه قد جذب اليه كافة العالم ' فان الادوات التى اخرجها غاندى ما كانت مناسبة لسياسة الدمار فقط بل وانما كانت تناسب ايضا لسياسة البناء الجديد حسب مشروعه لادارة الامور. توفى غاندى سنة ١٩٤٨ ولكن كثيرا مما يخصه لايزال وثيق الصلة بالموضوع . تكنيكيته السياسيه وفلسفته قد تدعو الى الفحص النقدى ، ولكن كثيرا من وجوه فكرته لاتزال حيويا . وانه اصبح مثالا رائعا ومرجعا شخصيا لاولئك الذين يناصرون اهداف الحريه والتقدم .

وقد سمى حقا بابى الوطن ، فانه كرس حياته لخلق ظروف يتيسر فيها للهند ان تبرز كأمة مستقلة ، وساهم بصورة جوهريه

فى تنشيط روح القوميه وفلسفه بناء الوطن .

ان ميلاد دول جديدة بعد الحرب العالميه الثانيه قد جعل التقدم امرا ذات اهميه دوليه . هذا التصور الغامض السار يقسم المجتمعات الى قسمين غير متساويين، المتقدمه والتى فى طريقها الى التقدم . ومع زيادة تصفيه حكم الاستعمار لم يبق التخلف طويلا حمل الرجل الابيض . فالشعب الذى ينتسب الى دول العالم الثالث يدرك تماما الظروف السائدة ، ولكن الدول المتقدمه ايضا ليست متفرجه وهى منعزله عن العالم الثالث ، اذا ان هناك كثيرا من البواعث والعوامل التى سترغمها على الاشتراك فى النظام العملى .

هذه هى الفترة التى وصلت فيها العلوم الا جتماعيه الى رشدها ، ففى المرحله البدائيه من نمو علوم الا جتماع ، الاهتمام المستمر صرف فى تشريحها . نظريات المجتمع كانت تبتنى على العلوم والمعارف الغربيه القائمه على تجارب مجتمعاتها التى تخص بها فقط . لوحظ التغير كعمل جيلى ، والاطلاقات العالميه وضعت فى قالب ارتقائى . المفكرون قدموا السلم الذى لابد لكل مجتمع ان يصعده ، واو ضحوا السرعه . ويجدر بى القول انهم اشاروا على استخدام السلم الميكانيكى مكان السلم العادى . وعلى الرغم من هذا بقيت امامها المراحل للعبور . الامم التى تعيش فى قلق واضطراب ، انها لاتطيق اتباع الطريق المذكور فى الافكار السابقه ، انها واعيه بان اى

نوع من المعجزة لا يمكن ان توجد النمو الاقتصادى الفورى، ولكن فى نفس الوقت فانها تعرف بان بقاءها وحياتها تقتصر على قدرتها لخلق نتائج ملموسة فى المستقبل القريب.

لاعجب ان مثل هذه الظاهرة الشاملة للتغير قد جذبت علماء الاجتماع فى كل مكان. والاتجاه الجديد فى علوم الاجتماع يؤكد دراسة التطور والتغير. وفى السابق فان علماء الاجتماع من الغرب كانوا مهتمين بمجتمعات غير الاوروبية، بسبب حبهم فى الاستطلاع والفهم للغير، وايضا بسبب التزاماتهم نحو حكوماتهم فى الداخل التى كانت تريد ان تكتسب تعليمات تمدها على تطوير الصفة لاثبات الاقدام فى المستعمرات. وحتى الان يحرضهم الامران: اعتبارات النظرية والمصالح القومية، على ان يقوموا بالبحوث فى هذه البلاد. ولكن عدد البلاد التى تصدر علماء الاجتماع اليوم اكثر بكثير مما كان فى العهد الامبريالى، والمصالح القومية حددت بمختلف الطرق. النماذج والافكار التى تمثلها هؤلاء العملماء تقديرا للظاهرة الجديدة، انها ملقاة عليهم ومؤثرة بالاتجاه الاجتماعى والسياسى للبلاد التى ينتمون اليها، وبالاضافة الى ذلك فان للمجتمعات النامية ايضا حصتها الخاصة من علماء الاجتماع الذين يتقدمون بانفسهم الى مهمة جديدة. ففى السنوات العشر الماضية جمعت مجموعة رائعة مؤثرة من المواد للبحث، ولاتزال توجه نداءات متحمسة للقيام بمزيد من البحث بصورة متزايدة ليكون هذا العمل

مساعدا على السرعة في التطور. الاسئلة عن القيم والتعهدات بدأت ترى مجالا واسعا، والنظريات الاجتماعية واساليب البحث في حالة تغير مستمر.

خلال مرحلة ما قبل الاستقلال كثيرا ما وصل العلماء الوطنيون الى بلادهم عن طريق الغرب، والمطالب الجديدة ومنها على سبيل المثال تهنيد علوم الاجتماع، ادل على النقص في الرسم من التعبير عن الغلو في الوطنية. ولعل كلا من الوطنيين والاجانب في حاجة الى المساهمة في ابراز هذه الصورة بكاملها. ونظرا الى هذا ان اهتمام علم الاجتماع بمشاكل بناء الوطن ظاهرة جديدة. والعلماء مشغولون في شرح الوضع في المجتمعات المستقرة، وبناء النماذج الفكرية، ليتمكنوا من تخطيط المعالم الواضحة لبروتوكول. المفاهيم مثل المركز والمحيط للدائرة، والتعبئة الاجتماعية والعصرية والتطور السياسي، تستخدم لايجاد نوع من التاثير في المجال للبحث. منطلقة من ثقافة العالم المتقدم هذه المفاهيم وضعت التاكيد على وجه او اخر لعملية بناء الوطن. وضع في بعض التجارب التاكيد على تحسين الثقافة المادية والاقتصادية. ولكن المسائل حول المصادر المساعدة قد اعرض عنها بدقة. يبدوكانهم يحتجون ضمنا وهم يقولون: لماذا نزعج انفسنا حول المصادر، فلنركز جهودنا على التنمية والتطور، ومن المتناقض ان يحتج الفكر غير الماركسي بالقول ان النمو الاقتصادي

الذى يهيئى البناء الداخلى اللازم يمكن الديمقراطية ان تؤدى مهماتها بنجاح . ان مثل هذا الاسلوب لابد ان يقلل من قدر الدور السياسى ان لم يقلع جذوره بتاتا ، ولاسيما اية محاولة لفهم السياسة التى تعمل وراء المساعدات الاجنبية تعتبر كالانكار بالجميل .

اريد ان اقترح اطارا لتحليل بناء الوطن ، وعند ما افعل كذا ارغب فى ان اصبح عمليا لا ارشاديا .

منذ عام ١٩٤٧ تحرر عدد كبير من بلاد العالم وخاصة من افريقيا وآسيا ، واعترفت بسيادتها ، وكان هناك الكثير الذين كتبوا عن الفشل المنتظر لديمقراطية الهند. لاشك ان الفشل المتتابع للمؤسسات الديمقراطية فى عدد من الدول حديث العهد بالاستقلال ، حيث استولت الاشكال غير الديمقراطية للحكومة على المسرح السياسى ، قد ساند ما كانوا ينتظرونه. ولكن هذا لم يقلق الجو السياسى فى الهند ، والديمقراطية لم تمت ، والهند قد صمدت لتقلبات الزمن بنجاح واكتسبت القوة وهى آخذة سيرها.

ان ' مانشستر غاردين ' (٤ يوليو ١٩٠٤) اطلق على دلهى اسم ' مدرسة آسيا '. ثبت جميع التنبؤات للدمار كاذبة امام انجازات الهند طوال خمس وعشرين سنة.

ان منجزات الهند تلمع ساطعة وخاصة عند النظر الى حقيقة ان عددا كبيرا من الدول حديثة الميلاد لم تنجح فى القيام

بنظام يساعد على الحفاظ على اطارهم الديمقراطى. طالما توصف الهند كمجتمع قديم ولكنها دولة حديثة مثل الدول الاخرى التى برزت حديثة. الهند ايضا قد عانت آلام الولادة كأمة ناشئة. الدول التى تولدت حديثا قد طلبت – فورا بعد استكمالهم النضال من اجل الحرية – ان تضطلع بثورة متماسكة بعد اجتياز العتبة، ليكون افراد الامة الجديدة ان ينطقوا بلسان نهرو:

عندما تدق الساعة نصف الليل، وياخذ النوم العالم فى احضانه، ستنهض الهند الى الحياة والحرية. وستاتى لحظة، وهى تاتى ولكن نادرا فى التاريخ، حينما تقفز من القديم الى الحديث، وحينما تجد روح امة، بعد كبت وخمود طويل، فرصة للتعبير عما فى نفسها.

وبتحقيق هذه الاهداف تنتقل الدولة بذاتها الى مجتمع نهائى. يعرف 'رابرت امرسن' الوطن بانه المجتمع الاكبر الذى عند ما يدنى الرقاب، يقود ولاء انسان بصورة فعالة، متجاوزا دعاوى كلا المجتمعين الاقليين فى داخله مع الذى يعبره او يضمه اساسيا ليكون مجتمعا اكبر. فالازمة الجديدة للدولة الجديدة هو ازمة الشخصية، وتاسيس الشخصية ليس امرا سهلا، ولكن الحفاظ عليها اكثر صعوبة. وتمر هذه العملية بالمزلات والتحديات، يقول 'ادوارد شيل' كل مؤسس الدول الجديدة فى مختلف الدرجات يواجه او واجه المشاكل لانشاء حكومة فعالة وتوظيفها بالافراد الاهلين، وكلهم يواجهون

او واجهوا الضرورة لتبرير انفسهم امام شعوبهم — سواء اقل او اكثر فى مهمة التنظيم والمحافظة على جهاز سياسى حديث، اى الادارة التى تدار للنظم بصورة معقولة وكادر من القادة تجمع بصورة عامة، للنظام الحزبى، وجهاز للنظم العام وكل هذا لابد ان يحقق فى ضوء المجتمع التقليدى. '

ان مشاكل الدول الجديدة متعددة النواحى ويجب ايجاد حلول لها قبل ان يفوت الاوان. و بالايجاز يمكن ان يقال انها مشاكل التنمية. وعلى النخبة الجديدة فى الحكم ان يبتكروا برنامجا لتحويل المجتمع. ان الطموح للالتحاق بدول العالم المتقدم، المنشأ بينهم عن طريق الزعامة الوطنية اثناء النضال من اجل الحرية ينتظر انجازه. فالمجتمعات القديمة لاتملك بشئ من الفراغ والمصادر للوصول الى هذه الغاية. ويبدو كانهم فى سرعة. ان المجتمعات الغربية تمد لها بجماعة جاهزة للمراجعة. وتختار الدول الجديدة الايدولوجيا رغبة منهم فى استيراد التكنولوجيا، وفى الاقتداء بطريقتهم للحياة، ويدركون بان كل العناصر العصرية لاتظهر من رحم ثقافتهم، وانما هى تنبثق من منابع اخرى، وليس لهم ان يخترعوا كل ما يحتاجون اليه، بل عليهم ان يستعدوا للاختيار والقبول. وكجزء من العاطفة القومية فانهم يزهدون فى اعتراف الامتنان ولكن رغم ذلك يرحبون بالانتقال الى العصرية، فالنخبة الحاكمة التى جهزت للتظاهر بصراخ الاستقلال اعطت الهتاف

الجديد ، هتاف بناء الوطن والتنميه" والتجديد .

ماذا يعنى بناء الوطن ؟ وهل هو مجرد مرادف للعصريه" او اسم اخر للتماسك الوطنى ؟ وفى رايى ان بناء الوطن يعنى فكرا مميزا يتعلق بتنميه" نظام الحكم الذى يتميز بالاستقرار ، وتعهد ثابت من الشعب له . ولعمليه" البناء هذه ، يعمل التعصير مع كل انواعه المختلفه" عمل مساهمه" فعاله" وحيويه" . وبناء الوطن يتطلب استخدام الخبرة الاجتماعيه" والسياسيه" ، اذ دليل بناء الوطن ، انما هو التماسك والالتئام السياسى . لاينبغى ان يبدأ برامج لبناء الوطن من خدش ، لانه لا يوجد مجتمع متين فى نقطه" الصفر من التماسك ، ولا يبدأ اى برنامج من ذلك المستوى ، فبرنامج بناء الوطن على ذلك برنامج للبناء اكثر منه وظيفيا وتماسكيا . ولابد من اقرار ان بناء الوطن ايضا من القوميه" . وان القوميه" تسبق نشاط بناء الوطن ، انه حب التملك الذى يخلق الارادة بين الشعب لاثبات شخصياتهم وتاكيد نفوذهم ، ويجمع الشعب مصادره لخلق تلك الشخصيه" ، وعندما تنهض العاطفه" للنشاط البنائى يصبح هو عمليه" بناء الوطن ، ان هذه العمليه" تساعد على دوام العاطفه" الوطنيه" .

ان نمو عاطفه" الوطنيه" القويه" فى مرحله" ما قبل الاستقلال اضفى الى الشعب من شعور الاتحاد وروح التضامن ، ذلك هو الاساس الذى يبنى عليه الوطن ، فعاطفه" الوطنيه" يجب ان يحصل على قانونيه" فى النظام السياسى ويتداول فى النظام الشخصى للشعب .

فالمطلوب هو البرنامج الواعي للاجتماع السياسي لا مداد المعونة" للثقافه" المدنيه" الجديدة .

فخلق المحركات لغرس الثقافه" المدنيه" في الذهن ، وتاسيس المعاهد للدفاع الاجتماعي والامن العام وتقويه" وسائل المواصلات واقامه" جهاز التغذيه" كل ذلك ضروري لبناء المجتمع ويكون ايضا من المطلوب ان يتناول النظام الوطني ، بالاضافه" الى ذلك ، العمليات الثلاث المتصله" بالاستيعاب والتماسك والموالاة ، وان وصول العناصر الاجنبيه" البشريه" والفكريه" والتكنولوجيه" متهل اولا ثم على مرور الزمن تصهر في العمل الثقافي للمجتمع ، فاصهار العناصر الغريبه" ، والاكثار في الاختلاف الطبقي في المجتمع يخلقان المتاعب ويساعدان على استمرار ازمه" التماسك . ثالثا ان بعض العناصر الطبقيه" ربما تنشأ عمدا من الداخل فيؤدى هذا تارة الى ميلاد كينونه" جديدة تطالب بنظام اعلى للاندماج والتماسك .

بناء الوطن عمل موجه نحو خلق الاندماج الكلي . فالجهاز اللازم للمحافظه" على الكل ، ايضا يكون جزءا من هذه العمليه" ، هذا النشاط ربما يقارنه برامج التجديد . فالمهارات الهندسيه" المطلوبه" للمهمه" بعينها تتأثر بمهمه" التنظيم وعمل بعض التاكيدات على الطبقات القائمه" بالفعل ليجعلها نظاما عمليا ، ويزيل بعض الاجزاء المهدمه" . بل تاييد الطبقات الضعيفه" ضروري ، وربما يدعمها ويعيد توزيع الفراغ ، ويمكن ان يعزل بعض الحاجات

بينما يمكن ان يخلق فتحات اخرى ، وربما تقدم المفاصل والروابط ليؤكد الطريق المناسب للعمليات . لمهندس يعمل هذا النوع من العمل ضرورى ان يعرف التركيب القائم والمخرج والموقف وقوة المواد والحاجه والقيمه للعمل ، وايضا تعهدات بشان القيمه ، فتجديد المبنى يعتمد على كل هذه الاعتبارات .

فبانى الوطن الذى انا مقرله وصف المهندس المدنى ، ولكن تنتهى المماثله هنا . وربما يمثل بانى الوطن او الجماعه الاثنين ، المهندس والعميل . وفى بعض الوجوه الهامه ، يمكن الفنيين تعيين دور بانى الوطن ، ويسمح لهم حريه اختياز لهدفهم ، والفنيون الاخرون يمكن ان يكلفوا لاختيار هدف بديل لتحقيق الهدف ، مع بيان النفقات الشامله فى كل منها ، وربما يحدث ايضا ان لا يحول الخيار الى الفنيين ، بل يطالبون فقط لتنفيذ برنامج فنجاح برنامج بناء الوطن — بصرف النظر عما اذا حدثت متابعه مستمرة ام لا — سوف تقاس بمقياس الخصائص المميزة للشخصيه والتغير الوظيفى فى داخل النظام ، وفى عبارات اخرى فان السؤالين البارزين هما كيف استطاع النظام ان يطبق بنفسه مع المحيط الخارجى . والثانى : الى اى حد يمكن حل المشاكل الوظيفيه الرئيسيه المتعلقه بطبقاتها الداخليه ؟ ويحل النظام السياسى مشاكلها الوظيفيه الداخليه ، عندما يتاكد اندماج وحداتها ، عند ما يخصص الشعب القانونيه لها بولاءهم وعنايتهم ، عند مايطور اساسا فعالا ليباشر بعمليه التفاصيل للتطلبات

ويؤكد على توسيع المجال لاكتشاف الشعب ، وعند ما يكون لها قدرة لاعداد جهاز ليواجه طلبات الشعب . والتطبيق مع المحيط الخارجى يكون ممكنا عند ما يكون للنظام رادارها العقلى المقام فى الموقع الصحيح لالتقاط التشوش ، وعند ما يطور جهاز الدفاع المناسب ليجعل حدودها محصورة . وتحتظ الشخصيه" عن طريق نظام العوازل فى الحدود الوطنيه" ، وعندما توقف العوازل عملياتها او تصبح عرضه" للنقد تبدأ حدود النظام فى تكوين عدة منافذ ومع تعدد المنافذ يصبح النظام منغمسا فى نظام اخر . وينخفض الى حاله" فرعيه" : مستعمرة . وكذلك عندما يصبح عديد من المنافذ للفرعيه" متقاربه" ، بايه" كيفيه" يكون ، ويغرس الفرزات فى حدودها ، يصبح النظام الفرعى بذاته نظاما ، وهكذا تتحق قدرة اجهزة المفرزات التى تقرر احتمالات الوجود المستقل للنظام .

بالنظر الى هذا فان عمليه" بناء الوطن يمكن ان يعتبر على انه عمليه" انشاء المنافذ وتكوين العوازل على المستوى المناسب هذا هو النوع من الخليط المناسب من العازلات والمنافذ الذى اشار اليه غاندى عند ما قال :

' انا لا اريد ان يكون بيتى محاطا من كل جانب وشبابيكها مغلقه" ، اريد ثقافات العالم كله ان تنفخ الى بيتى حرا بقدر ما يمكن ، ولكنى ارفض ان يزل قدمى بايه" نفخه" .

ان مشاكل محافظه" حدود بلد تحل عن طريق سياسته الخارجيه"

وعن طريق سياسة الدفاع للحدود ، وكل دولة تطور حراس ابوابها. وان اصدار الجوازات ومنح التاشيرة للشعب يخدم وظائف مزدوجة لتمييز اعضاءها من غير الاعضاء ، وتقييد دخول الناس وخروجهم ، وان الهجرة الجماعية الكبيرة للناس دلالة على اتجاه نحو عدم الرضا وعدم التاثر بالنظام ، كذلك دخول الناس بصورة كبيرة يخلق مشاكل غير متوازنة للدراسة الاحصائية وتوزيع المصادر النادرة للبلد. هكذا يربط سياسة الهجرة لبلد بمشاكلها للتجنيد ، وصيانة النموذج للمصادر المخصصة للتماسك وبلوغ الهدف ، وان اتجاهات الهجرة التى يتبناها الناس فى المجئ والذهاب ايضا توثر نسيج نظام الحكومة ، فنشاط بناء الوطن الذى يتعلق بمحافظة حدودها يتركز فى جهاز العوازل. فالاسلوب الذى يرتبط به بلد خاص بالدول الاخرى يحدد بمضمون سياستها الخارجية ، وهذه العلاقات التركيبية يمكن ان يقدر اذا حاولنا ان نتصورها فى اصطلاح وضع البلد ، فالبلد كعامل يشتمل على مجموعة مرتبة من ادوار الشريك بعديد من البلد ، و مثل ذلك التكميل لدور العلاقات التى تكون للبلد تسمى وضع البلد. وكل دولة مربوطة بتنوع واسع من مراجع التشكيل المتراوحة من الموجبات فالحائدة فالسلبية وكل شعب متعلق بالعضوية وغير العضوية النظم الدولية.

ان اختيار الدول المراجعة من جانب اى بلد خاضع للتاثير

المتنوع من الاعتبارات. ومن ناحية المكان ، يرتبط البلد مع البلاد التى تشارك حدودها المشتركة ، وهذه العلاقات يمكن ان تعرض مختلف درجات الصداقة من الصديق الحميم الى الخصيم غير الصديق، وبجانب ذلك يرتبط البلد بمجموعة اخرى من البلدان التى ربما تحب ان تتكتل مصادرها سويا لاهداف مشتركة . ولاهداف اخرى ربما تتحالف بعض البدان من هذه المجموعة مع الاخرى غير الاعضاء ليشكلوا عضوية مختلفة ، ولتمييز اوضاع بلد لبلد ، فان اول المتطلبات هو عزل الميادين المختلفة للتعليم فى كل ميدان من التفاعل وتشتغل مجموعة وطنية ممتازة لكل مجال من التفاعل، ولاى مجموعة فان مناطق التحليل سوف تكون كالآتى :

(١) ضخامة تفاعل المجموعة التى نحن بصددها مع الشعوب فى المجموعة .

(٢) نموذج العلاقات المتبادلة بين المساهمين فى المجموعة .

(٣) النفوذ غير المباشر لمجموعة من المساهمين على مجموعة .

(٤) نموذج الطلبات المختلفة المعمولة من كل مساهم فى المجموعة .

(٥) حجم وضع المجموعة واثره على مجموعة .

وضع حدود البلد و رسم خرائط المناطق للتفاعل يمكن ان يساعد المحلل لفحص امكانيات وجود بنيان فوق الطبيعة ، وان التكرار الاكبر من التفاعل مع الدول المعينة فى المجالات المختلفة هى

دلاله ضعف العوازل او انفتاح الشعور لبعض المنافذ للتحالف المفيد .

ان تحقيق صفه الدوله لا يؤدى تلقائيا الى سد المنافذ ، حتى لدفاع مناطقها ، وربما لدوله ، بغيه الحفاظ على مناطقها ، ان تعتمد على الدول الصديقه التى يمكن ان تمدها بالسلاح والذخائر اويمكن انتدخل فى نوع من المعاهدة او تشكل نظاما اعلى . وان اعداد الدفاع يتطلب وجود قاعدة صناعيه قويه ، وهذا بالدور يتطلب وجود مصادر وافراد مدربين ، فدوله ربما تنتج بضائع لاستهلاكها الداخليه او للسوق العالميه بتحمل مصلحه هذه المتطلبات للدول الناميه . من الممكن ان تمد الدول المتقدمه بيد المساعدة ، تعطى المساعدة فى شكل الالات والافراد او التسهيلات لتدريب العقول المحليه فى بلدهم ، ولكنها تفتح المجال لانواع من النفوذ الواسع . وبينما لا يمكن لايه دوله ان تعيش فى السعادة بالعزله — دون السماح لافق المرء العقلى ان يتوسع — ولا تستطيع مجازفه الخطر معتمدة على المعونه الخارجيه وحدها . مثل ذلك الاعتماد يحول البلد الى وضع محطه ان كان مصدر العون واحدا ، والمساعدة التى تقدمها للوكاله من اجل التنميه الدوليه ، تنال من اعادة تحديد على انها ضد النمو المستقل ، ان التاكيد على استعاضه الاستيراد او زيادة التصدير ، والضبط على استنزاف العقل الاهتمام المكشوف للاستعمار الاكادمى المتزائد سوف يفسر كجهود من جانب الدوله

محتمل الوقوع في النمو المركزى خارج النظام وكنقص الدولة الى وضع المحيط الدائر.

فالقرار لفصل الحدود سيسبب تطورا للنظام الداخلى فى صورة تصبح اعتمادا ذاتيا : تماسكا واعتبارا . وهذا هو الاساس الثانى والرئيسى لمهمة بناء الوطن .

ان تجربة بناء الوطن لكل بلد لايماثل ، ولايوجد بلدان مماثلان فى تركيبهما الاجتماعى او التاريخى او العقائدى . فخليط هذه الثلاثة هو الذى يقود استراتيجية بناء الوطن ، وكل حركة الوطن تعمل لاستخدام هذا التاريخ ، او بفتح دهاليزه التاريخية تعد نظرة مناسبة ، ويربط الحاضر بالماضى ، ويكتب تاريخ بلد مقارنا بتاريخ بلد اخر ويعتبر منه . ويستعمل التاريخ لتمجيد الماضى او ادانته ولاعادة التفسير لبعض الاحداث الهامة مستنجدا بالصلة الوثيقة والقيمة لحجم المواضيع التى سوف تعزز بوضع الاحجام الجديدة الماخوذة من وضع تاريخى اخر ، ولبسط استراتيجية لمزيد من التطور على اساس الماضى المتحمس باحياء فلسفة التقاليد الدينية القديمة .

يستخدم بعض الزعماء التاريخ للدفاع عن ضرورة العودة الى الماضى للبناء الاجتماعى ، وان التركيب الاجتماعى الماضى يستخدمونه فى بعض النقط كاسلوب للمنافسة . ويلسان علم الاجتماع ان استعمال التاريخ كحجة للعودة الى الماضى شئ غير عملى ، بل مخيب

للامل وتكثير الوصف بالاحداث الماضية وتمجيدها يمكن ان يكون عرضا لاحداث، ولكن ليس هذا تاريخا، ولا بدان يعاد الوصف للصبغة في الاطار الطبقي، فالحاضر ينظر اليه على انه نتاج الماضي وكشف للظاهرة المنطوية على فكرة عدم التخفيض، وكل برنامج للبناء ينبغي ان يدرس على هذه المعطيات ويعمل عليها.

يسمح المظهر الوطني، لاسيما خصائص ماقبل عهد الاستقلال، عادة الاستعمال الحر للتاريخ. ويرخص كثيرا من انواع التراجم والاخطاء. وهذا، مجددا تعاون الشعب يخلق قاعدة للسياسة العريضة. فحركة الوطن تنجز وظيفة ثنائية لشعور التضامن بين الشعب، وبناء الاسس للنظام القائم.

ان مظهر ما بعد الاستقلال يقتضي نقل السياسة المهمة الى سياسة ولاء للدولة والسياسة البناءة. وان النخبة الحاكمة التي قدمها الجماهير، عليها مهمة انجاز وعودها التي وعدوها وكسب الشرعية للنظام الجديد، فالانطباع المزيف للحكم الشعبي — الامل المكون بان الشعب سيحكم — يحتاج الى الطمس بدقة وان يقال لهم ان لهم سلطات اقامة حكومة، ولكن اقامة السلطة للحكم ليست هي كأس الشاي. ويتطلب هذا ربطا فعالا بين الشعب والحكومة، وان التنظيم الطبقي القائم والعمل الشبكي يمكن ان يستغل لهذا لهدف ويمكن ان يخلق بعض الاعمال الاضافية المنظمة، وعلى كل نظام ان يؤكد ان شيئا من فروع نظمه لن يهان بصورة كاملة.

ومن هنا لابد من خطه" دقيقه" لاعداد هذا النمط من المنافذ والفواصل بالضرورة . وكتمرين توضيحى فلنحدد بعض المنافذ والعوازل والتركيب الاجتماعى لاى مجتمع يتميز بنوعين من التجمع ، احدهما يقوم على المعيار المحلى والاخر على معيار العلاقه" . وعند ما تصبح منطقه" محدودة جغرافيا مستقله" بالذات فى كل النواحى يميل كل الجماعات ذات العلاقه" والتى تسكن فى تلك المنطقه" ايضا يميل التجمع داخليا ، ولكن عند ما تتجاوز التجمعات ذات العلاقه" حدود الاقليميه" فانها تساعد على كسر بعض المنافذ فى الحدود الاقليميه" . وان فكرة تكوين مجتمع شعبى فى تقرير ' ريد فيلد ' قريب الى مجتمع ضيق ، انه مجتمع منعزل ليس فقط من بقيه" العالم بل ايضا من ماضيه الخاص ، فغياب تقليد مكتوب يسبب الذهول التاريخى ويسمح اندماج الماضى بالاسطورة . ولغه" مشتركه" وثقافه" مشتركه" واختلاف اقل نسبيا فى الاجتماع الطبقى يورط الناس فى انواع واسعه" من التفاعلات داخل المملكات الاقليميه" المحدودة ، ومن الصعب الاحاطه" المعتبرة فى مجتمع متشابك من لغات متعددة والمنتمين الى اخلاق وديانات مختلفه" . وان الاختلاف فى التنظيم الاقتصادى والبناء الاجتماعى يزيد اكثر الى المشاكل . وفى ذلك النوع من المجتمع يمكن التحديد بثلاثه" انماط مميزة من المنافذ : الاقليمى والاتصالى والاجتماعى الطبقى ، اذا تجمع كل هذه الثلاثه" على نفس الثخور يعتبر المنفذ متكاملا ، وعند ما يكون التجمع فى مختلف المناطق فانهم يميلون الى

العبور كل واحد الى الاخر ويخلق مشاكل اندماجيه للمجتمع المحلى .

منطقيا ينتج مما سبق ان العوازل سوف ينظر اليها كاداة للتماسك الذى لايسمح لهذه المنافذ او توسعها ، وبالتالى تعزز من الربط بخط صليبى . ونظام عموم الهند للادارة والاشتراك فى الاقتصاد الوطنى والعكوف على اكثر من لغه رفع قيمه صفه العلمانيه العالميه وشجع مجالات حركه الروح . ولتحقيق هذا الهدف من اللازم تقويه جهاز التماسك لمختلف الوحدات وتقويتها فى عمليه التجذيد وفى نمو الاقتصاد والتطور السياسى .

انه ليس من الممكن من خلال حدود الحديث ان يمسح الميدان كله ويقدم التقرير على عمليه بناء الوطن الجاريه فى الهند ، ولكن نظرة عابرة فقط .

والتمييز بين المجتمع ـ اوفى الاصح ـ بين الثقافه ونظام الحكومه كان موجودا فى الهند فعلا قبل عهد المغول بينا مارس الشعب دينا عاما وانتسب الى عنصر واحد سكن فى مختلف اجزاء شبه القارة الهنديه . وقد فصلتهم ظاهرة السلطات المحليه ، وامتازت هذه السلطات بكون لغتها مشتركه سواء اقل او اكثر كانت مقتنعه بالذات بالاجتماع الطبقى والاقتصادى وبدرجه اعلى من التحقيق الذاتى . ومراكز الحج الواقعه فى الخارج والنصوص الدينيه المربوطه بالتقليد العظيم اعدت منافذ جاذبيه . فالقسيسون والقديسون وكذلك الآداب المكتوبه خدمت كنقاط اتصال . ومع ان نظام

النقل السيء لم يتم الرحلات عبر المنطقة" ، ولكن لم يغب بعضها عن البعض كلها ، واصبحت الثقافة" المحلية" تمتاز عن طريق التفكير الضيق للعناصر التقليدية" الكبيرة وكانت خليطا تجريبيا للمحلية" والاقليمية" وكل العناصر الهندية" ، وقد ساهمت ايضا فى نشوء التقاليد الكبيرة ، وبقيت اللغة" السنسكرتية" لغة" مقدسة" للصفوة . واستعمال لغة" اقليمية" لم يعرقل انتشار ثقافة" الهند . مثلا فلسفة" الطبقات المتجسدة فى نظرية" العنصرية" وجدت مقبولة" فى كل مكان ، بل لاتزال الممارسة" الفعلية" للطبقية" مستمرا فى المشهد المحلى . والطبقية" متصلة" اكثر من العنصر الاربع كقوة متحكمة" فانها من النوع الاقليمى . وواضح ان طرق المواصلات خلال فترة السلطات المحلية" كانت ضعيفة" . و الجهود التى عملها الحكام لتوسيع مجال طرق المواصلات كانت ذات صفة" سياسية" . سعوا بالسيف اما للدفاع عن منافذ حدودهم او لتوسيع حدودهم بخرق منافذ الولايات المجاورة .

واصبحت تجارب بناء الاسطورية" بهذا النوع اكثر انتشارا بعد مجئ المغول ، لكن نجاحهم كان ايضا محدودا ، ونجح كثير من السلطات الاقليمية" فى الابقاء على شخصياتها . ان تصور الهند ككينونة" سياسية" يمكن ان يعتبرها حقا بانه هدية" الاستعمار للحكم البريطانى فى الهند الذى حول وحدة الثقافة" فى الهند الى وحدة سياسة" بطريقة" حسنة" . وتطلب هذا الى وجود مركز على مستوى اعلى من الاقليمية" ، وبانشاء المركز طرق الادارات المربوطة" بمختلف المناطق

بالمركز وكل واحد بالاخر . وبالاضافه" الى الوسائل التقليديه" للمواصلات يحتاج النظام الى وسائل فعاله" اكثر وسريعه" ذات خصائص عمومية"، وهكذا ربط الفرد بالاثنين عن طرق المواصلات كوحدة نظام لتطبيق الاسلوب الاجتماعى، وفى الاخر كهدف لنظام عموم الهند للادارة السياسيه" . وشجع الفرد للمحافظه" على الصفه" الموضوعيه" وليعمل فى المستوى الم لى مستمرا التحاقه مع انشاء مركز للسلطه "ذات صفات طبيعيه" اعلى من الاقليميه"، وادى ذلك الى تطورات هامه" . ظهرت بيروقراطيه" محكمه"، وشكلت جيشا وطنيا واعدت استراتيجيه" اعلاميه"، ولاول مرة بدأ يتكون تجربه" فى حكم بلد يمثل هذه الاهميه" العظيمه"، وظهرت صورة الهند المذكورة . وللتسهيلات للعمل الفعال للحكومه" ونظامها الرقابى فى الخارج، يد معينه" لوظائف خفيه"، وكانت هذه عوامل للنهوض الوطنى، وفى نفس الوقت اختلال وظيفى للحكومه" السابقه"، فالادخال التدريجى للديمقراطيه" تكشف للغرب عن طريق النظام الجديد المطبق فى التعليم الحديث، واحساس الحرمان بين الطبقات المتوسطه" المثقفه"، غذى بينهم بشعور انا، وانتفعوا بنظام النقل وطرق المواصلات الضخمه" للتعبير عن شعورهم فى لغات الشعب وايصالها بسرعه" . وميلاد اسلوب حكم لعموم الهند المتناقضه" صار اداة النهوض الوطنى تحت الزعامه" الملهمه" للافراد مثل تلاك وغاندى وطاغور ونهرو .

ولدت الهند الجديدة فى اغسطس سنه" ١٩٤٧ ، وورثت كل اسس تحت البناء ما سهلت فى نفس الوقت للحكم البريطانى نشوء الحركة" الوطنية" ، ولكن الحالة" الجديدة شملت انتقال طابع الثقافة" السياسية" التابعة" الى الثقافة" السياسية" المساهمة" ، وواجهت الحكومة" الوطنية" عدة القضايا الصعبة" الخطيرة وكان عليها ان تصالح ، وكذلك ان تساعد المواطنين للتصالح ، بحقيقة" ان تقسيم البلاد الى المناطق فى الشرق والغرب ، وكان عليها ان يكشف للعالم ان للهند كوادر قادرة من الناس لادارة شئون الحكومة" وحراسة" حدودها الامامية" ، ففى الداخل كانت الازمة" الرئيسية" اعادة الصفة" الشرقية" فالبيروقراطية" التى كانت تدربت على العمل حليف لسيد اجنبى كان يطلب اليها ليس بانجاز وظيفته فقط بل ايضا بتظاهر الولاء للبلد ، وان على الشعب ان يعلم الحقيقة" بانهم كانوا هدف الاستغلال او المعارضة". ويجددوا دروسهم فى الثقافة" السياسة". وكانت على الحكومة" ان تتأكد بان الفرد لا ينعزل بنفسه دون اهتمام بما يتعلق بالنظام ولا يرفض انجاز دور المواطن ، وكان عليها ان ترى ان الاقاليم لا تعود الى ممارسة" نضال الحرية" فى المستوى الوطنى الداخلى وغلق حدودها والعودة الى نموذج السلطات الاقليمية" ، وكانت الحكومة" حريصة" لبسط استراتيجتها التى تمنع بها مختلف قطاعات المجتمع الهندى ، الريفى والمدنى ، والقبلى وغير القبلى ومختلف فرق الاديان والاجناس ، والجماعات اللغوية" من مميزاتها الصارمة" بالحدود .

يوغيش اتل

ان الجمهوريه" الهنديه" العلمانيه" والديمقراطيه" تناولت هذه المشاكل كلها فى آن واحد، وادخلت نفسها فى عهد التخطيط، ووجه الاهتمام الى تنميه" الاقتصاد، خصوصا الى الزراعه" ابلاغا لرساله" التخطيط الى الشعب وتاكيدا لاشتراكهم ولحوقهم به — لكى تصبح الحكومه" ملحوظه" ومنظورة — وضع برنامج واسع للتقدم الريفى فى ٢ اكتوبر سنه" ١٩٥٢ يوم ميلاد غاندى الذى دافع من دون خلل عن تجديد البناء الريفى. وكانت حركه" 'بهودان' التى قادها 'ونوبها بهاوى، متوازيه" لمشاريع الحكومه".

ان برنامج التنميه" الريفى قد ركز على القريه"، وقد ابتدأت بهذا البرنامج سلسله" من التغيرات التى كان هدفها القريب التنميه" فى الاعمال الزراعيه" والانتاج، والهدف البعيد كان ايجاد تغيير فى مواقف الناس وفى الراى العالمى. برنامج التنميه" الريفى الذى تضمن فيما بعد مبدأ اللامركز الديمقراطى فى شكل المؤسسات الحكوميه" المحليه" ذات الأطار الثلاثه" المعرف بـ 'بنجايت راج' يمكن ان يوصف بانه برنامج للتعليم الاجتماعى والسياسى وانه نجح فى كسر الاتجاهات الضيقه" للطوائف القرويه" المجتمعه" بصورة متباعدة. والجهاز الجديد يربط بالمستويات العليا للادارة. وليس مجرد 'محصل القريه"' الذى يزور القريه" كموظف تسجيل الارض. ففرقه" عمال التنميه" ياتون الى القريه" بعدد من وسائل الاتصال الجديدة وياخذ النظر لمحات ظهور الهند فى بناء الشوارع، وافتتاح

المدارس ، ووصول الراديو الى القرية والزيارات المتكررة للمسئولين عن التنمية وهى الملامح الجديدة للموقف . وكل هذا ساعد على نمو مدى وعى القرويين . والاحزاب السياسية ونظام التعليم والوصول الكبير الى وسائل المواصلات الشاملة ساهم ايضا بحجم كبير فى خريطة الوعى للفرد ، وسهل على السنوات مرور سيل المعلومات . والسكك الحديدية وحدها تغطى ٦١٠٠٠ كيلو مترا مع ١١٦٥٠ قاطرات تجر ١٠٠٠٠ قطارا فى اليوم . فى سنة ١٩٦٨—١٩٦٩ سافر فى القطار ٢٢٣٠ مليون ركاب ، وبالاضافة الى هذا يوجد الان ٩٥٢ الف كيلومتر من طرق المواصلات الاخرى ، وهى تزيد ثلاث مرات عن رقم سنة ١٩٤٧ ، فخطوط الجو الهندية التى نقلت ٢٥٠ الف راكب فى سنة ١٩٤٧ تحسن اسطولها الان ، ونقل حوالى ٢،٥ مليون راكب فى سنة ١٩٦٩ ، وكذلك كان يوجد فى اواخر الاربعينات عدد قليل حوالى ٣٥ الف من مكتب بريد ، والان عدده اكثر من مائة الف ، وعلى وجه التقريب يوجد مكتب بريد لكل خمسة آلاف نفر ، وتلفون لكل الف . والزيادة فى الانتفاع بتسهيلات البريد والبرقيات والهاتف تظهر بوضوح . وللمثال فان المكالمات على التليفون فى سنة ١٩٤٨—١٩٤٩ كانت ٤٤ مليون وفى سنة ١٩٦٨—١٩٦٩ فكانت عددها ٧٣ مليون . وذلك لسكان امين بصورة عريضة مثل ما يوجد فى الهند ، حيث نسبة التعليم حوالى ٣٠ فى المائة ، وهو ايضا يوجد معظمه بين الشباب الحضريين.

الراديو هو الوسيلة الرئيسية للاتصال الشامل . وكل البلد مغطى بشبكة ٦٦ محطة اذاعية تنقل الرسالة لاكثر من خمسة عشر مليون جهاز التقاط ، ما يزود لحوالى خمسين مليون من المستمعين ، وخدمات التلفزيون لا تزال فى بداية العصر ، وخطة توسيع شبكات التلفزيون سوف تنفذ . وقريبا يفتتح مشروع ليتصل التلفزيون بعدد من النفر ولدوا فى المدينة ، او فى المناطق الريفية . وينشر فى البلد ١٠٢٨١ الدورية يومية واسبوعية وغيرها فى اللغة الانجليزية وفى مختلف اللغات الهندية ، ومجموع نسخها يصل الى ٢٧ مليون . ويتوسع نظام التعليم الهندى . فمن حوالى — ٢٩٠ الف مؤسسات تعليمية فى سنة ١٩٥٠ — ٥١ ارتفع العدد الى ٨٠٠ الف ، وان الانتساب من ٢٥ الى ٧٠ مليون .

وان صورة الهند من حيث العموم ، لما ينظر اليها من المستوى الاقليمى ومستوى المديرية ، تكشف ان اتجاه التجديد لم يكن بعد منسجما ، حتى انه من الصعب ان يقال ان تاخر التجديد خدم كمنفذ فى مجال السياسة . وان اشتراك الناس فى كل الانتخابات الخمسة التى انعقدت فى البلد كان عاليا بصورة يستحق الذكر ، وان الناخبين ابدوا نضجا كبيرا فى عملية الاختيار ، وعاقبوا المذنبين وحاكوا البديل ، وجعلت الحياة تعيسة لمنجمى السياسة ، وادرك الناخب شعوره فى النفوذ السياسى واظهر ذلك بثقة ، ولكن تعلقه بالتجديد كان يبدو ضعيفا .

وانحصر اشتراك الناس فى السياسات على الانتخابات فقط ، مع ازدياد الجو الديمقراطى بدأ الناس ايضا يتكلون بطلباتهم ، واصبحوا ذوى اصوات فى انتقادهم لانجازات الحكومة ، ونظم الكثيرون فى المجتمع الهندى جماعات الضغط التكنيكى ، وبدأوا يتدخلون فى النظم ، فالعمال وموظفو الحكومة وجماعات الطلاب والاحزاب المحلية والفرق القبلية ، وحتى البوليس جمعوا مصالحهم وجاءوا بها الى الظاهر . فالاضطرابات والحصارات واغلاق المحلات والاحتجاجات بالوسائل العنيفة اضافت اتساعا جديدا الى الثقافة السياسية المطلة فى الهند . ونظرا الى هذه الاحداث تنبأ المراقبون بموت الديمقراطية ، وبانهيار الوطن . ولكن انتخابات سنة ١٩٦٧ كانت ثورة صامتة ، ثم انتخابات قبل الموعد للبرلمان فى سنة ١٩٧١ دون ربطها بانتخابات المجالس التشريعية التى جرت فى مارس ١٩٧٢ دعمت مرة اخرى فكرة الديمقراطية ، واعلنت بشكل واضح الى العالم ان سياسة الهند كانت فى صحة تامة . وفى بلد لايوجد فيه قواعد عامة يجمع الناس لا فى الدين ولا فى اللغة ولا فى لون الجلد ولا فى الاصول الخلقية ، من الصعب ان يتفاخر بالبناء الوطنى على الطراز اليابانى او اى من البلاد الاوروبية . وان الاختلافات بشتى الانواع حقيقة من حقائق الحياة فى الهند . وان الاسلوب الجدير بالملاحظة التى تحول الاختلافات الى بوتقة الصهر ، يجعل امر الهند قضية ممتازة .

والانتفاضة" الاقليمية" التى شهدتها الهند فى السنوات الاخيرة توصف بانها مضرة للتماسك الوطنى . والاقليمية" فى الهند ليست كلها شكلا واحدا بل يوجد فيها مختلف الظواهر ، قيل على انه ــ قبل ادانة" الاقليمية" ــ يجب ان يعد مبحث : هل يمكن ان تصبح الاقاليم دولا لان لسكانها كثيرا من الاساس المشترك ؟ وهل فكرة الولايه" على اساس اللغة" الهمت لغرض خلق دولة" على اساس اللغه"؟

وكل الحركات الناشئه" فى الاقاليم ليس لها مصدر واحد للالهام ، ويقوم تحديد الاقليم على معيار سليم ، فتارة يكون اقتصاديا وتارة يكون جغرافيا ، وتارة ثقافيا ، وتارة تكون الاعتبارات الاداريه" دخيله" على تشكيل الاقليم ، وبينما تهدد حركه" اقليمية" ان تنجح فى رسم حدودها للاكتفاء الذاتى ، تخلق مشكلة" امام نظام اوسع . وفى تلك الظروف فان السؤال المناسب يكون كيف يمكن ان يكون ذلك الاقليم قادرا على ان يبلغ هدفه ، والتطور الى نوع من الدوله" المصغرة . وهل يمكن لهذه العوامل التى سببت هذه التسهيلات ان تحدد وتستعمل من اجل جهد على مستوى الميكرو فى بناء الوطن .

وفى الوقت الحاضر لا توجد حركه" اقليميه" نجحت فى فصل نفسها كليا ولا يوجد اقليم ذو لغات ولا ديانه" محليه" من حيث ثقافتها او دينها . وان اختلاف الذى تتميز به الهند يوجد ايضا فى التركيب الاجتماعى الاقليمى ، ان الروابط الدينيه" تعبر الحدود

الاقليميه". وهناك اعتماد كبير فى الميدان الاقتصادى بين الاقاليم على نحو متبادل .

اريد ان اناقش ان كل النشاطات التى تجرى باسم الاقليمية" لا ينبغى ان تترجم على انها ممزقة". فان الاقليمية" تنمى ثقافه" سياسيه" مشتركة"، وانها تساعد الناس على توضيح مطالبهم وتعد الزاد الى النظام السياسى، مادامت المقاطعه" واللغه" وروابط العلاقات لا تنتهى فى نقطه" منفردة، وتفشل الاقليميه" فى ايجاد فصل كلى، فشعب امى يستخدم لغة" واحدة وغير متحرك يستطيع ويملك فقط علم ما اتصل بحوله فهو شعب منعزل .

وحيث يشعر شعب بالاقليميه" والوطنيه"، فذلك الشعب ينهض الى نوع من السباق الاقليمى بمقارنه" حظهم مع شعوب الاقاليم الاخرى، ويطالب من المركز تحسين ظروفهم المحرومه". هذا النوع من التنافس الاقليمى ليس منعزلا فى خاصيته. وتستمر الاقاليم بتوجيه انفسها الى النظام الوطنى، فمسئله" اللغه" سياسيه" فى معظمها، اذ البلد الذى يوجد فيه ١٥٧٢ لغة" ولهجه"، ويتكلم بكل واحد منها قرابه" ......١ ناطق لا يمكن ان يرجو بتحقيق اندماج وطنى بمجرد الاقتراح بلغة" واحدة واهمال الاخرى. فالهجرة الانتقاليه" والدائمة" هى تدبير لنمو اللغه" الثنائيه"، ولانشاء ترابط بين الاقاليم فى السنوات الاخيرة اصبح تنظيم رحلات الحج اقتصاديا الى حد، وان وجود تسهيلات تعليميه" وفتح فرص العمل للفرد خارج سكنه

الخاص ازاد من الحركة، ولكن فى اغلب الحال بقيت ذات صفة اقليمية .

توجد نسبة قليلة من الناس الذين استقروا فى ولايات اخرى غير ولاياتهم الخاصة. وبالنسبة للبلد كله هذه النسبة صغيرة بقدر ٣،٣ . ومن هذا العدد ١،٧،٥ فى المائة يسكن فى مهاراشترا، والباقون متفرقون فى مختلف الولايات الاخرى ، ولكن من حيث تناسب الخارجين بالمقارنة مع الاهليين تقع منطقة دلهى فى راس القائمة التى يقطن فيها ٧٣ فى المائة من المهاجرين من الولايات الاخرى ، بينما يبلغ عددهم فى الولايات الاخرى من ٧ الى ٩ . بالمائة ، وحتى هذه الهجرة مقتصرة الى الولايات المجاورة ، اذا اخذنا الولايات الثلاثة الاولى التى هاجر منها الناس الى ولاية يلاحظ ان ولاية اتر براديش تظهر اولى بين الولايات الثلاثة من بين الولايات العشرة . واما بيهار، ومهاراشترا ، وبنجاب فتقدم معدل الخمس لكل منها بينما تقدم بقية الولايات معدل واحد الى اربعة. وبناء على هذا التبادل البشرى تكشف احصاءات الهجرة بوضوح انه يمكن تقسيم البلد الى ثلاث مجموعات : الجنوب الغربى ، الشمال المركزى ، والشرق ، فالمجموعة الاولى تتكون من آندرا ، وتامل نادو ، و ميسور، و كيرلا ، ومها راشترا ، وغجرات ، والمجموعة الثانية تتكون من راجستان ومديابراديش ، واوترا براديش ، بنجاب ، هاريانا ، دلهى ، وهماتشل براديش ، والمجموعة

الثالثه تتضمن بنجال الغربيه واوريسا وبيهار،

وان استعمال اكثر من لغه، ووجود الخارجين فى ولايه يعتبر جهازا لابقاء المنافذ مفتوحه، ويخلق الدين والجنس ايضا نوعا من شكل الولاء الثنائى. فالناس من دين واحد ينتمون الى عدة ولايات، لكن فى ايه ولايه خاصه يشارك الناس من الجماعه الدينيه الواحدة مع المجتمع المحلى فى اشياء كثيرة، بما فيها اللغه والعادات الغذائيه ومثل ذلك من الروابط الثنائيه، وهذا ضرورى الى ابعد الحد لعمل التماسك الوطنى. وان جذب المجتمع القبلى فى النظام الطبقى الهندوسى الذى يخلع وضعا من فرقه تلقيحيه فى داخل جماعه الهندوس، او التغيير الى المسيحيه وما الى ذلك اتجاهات داله على كسر الحواجز. وان انشاء جمعيات الطبقه فى كثير من انحاء البلد تحت نفوذ السياسه عامل اخر للتماسك. وحاول الاعضاء المنضمون الى الجماعه الاتحاد مع مختلف الجماعات الدينيه المنتسبه الى نفس الطبقه لينتهضوا بشعور الحرمان العام، ولكن ذلك الاتحاد كان من اجل اهداف سياسيه وعلمانيه ولايستاصل دائما الامتياز التقليدى. وشكرا لتحسن المواصلات ووسائل الاتصال اذ تقدمت الطبقات بسماح الزواج خارج اقليمها ومن خارج جنسها، فنجد فى الاعلانات الزواجيه المنشورة فى الجرائد اليوميه انه يزيد يوما فيوما كلمات ' الطبقيه والجهاز الزواجى ليسا بما نعين ' واذا كانت الطبقيه تسمح من اجل نفوذ سياسى او للحصول على قرين طيب،

فيسهل تحديد الطبقات وتتكسر الحدود الاقليمية . او تسمح بتوسع حدود الزواج اللحمي ليحيط كل اللون ، فالواحد ان يلاحظ هذا كتفاؤل سار ، لانه يفتح المنافذ فى المستوى الادنى وتضع العوازل فى المستوى الاعلى ، اذا تقلصت عدة مئات من طبقات الطوائف الى الاصول الاربعة فسيكون خطوة كبيرة نحو التماسك ، وهذا استعمال للفكرة الطبقية لاستئصال نفسها بالموت البطيء .

تحدثت منذ البداية بالعوازل والمنافذ ، وانه جزء هام من مناقشاتى ، ذلك ان الوحدة التى تسمح ان تكون معتمدا على الذات الذى يتصف بالانعزال ، وبالتالى بالتماسك الكامل . على انه مجرد تصور فانه ما من مجتمع يحقق التماسك الكامل ، ولا يمكن للحياة ان تبقى بعد فصلها عن الكل ، وحيث يكون الكل بذاته مصطنعا بحيث يسمح لنشوء مبدأين يجذب كل واحد منهما منطقته الخلقية ويمكن ان ينجح بالانعزال الكامل .

فالدولة مطلوبة منها ان تكون منافذها محروسة جيدة فى جبهاتها ، ويجب ان يكون لها حراس على ابوابها الذين يكون لديهم مفتاح المنفذ ، واذا اخذت وحدة من النظام او كله فى القيام بالتفاعل مع اى نظام خارجى اخر ، ففرصة اندماجه بذلك النظام سوف يكون اكبر ، وعند ما يكون بعض الاشكال المعينة للتفاعل مع النظام الخارجى بمثابة الراس والتابع ، فالولاية تصبح مجرد مستعمرة امبراطورية او اكاديمية او اى من نوع اخر . واما التفاعل

المتنوع مع عدد من البلاد فهو على كثرته لايعوق شخصية البلد، ولكن السيل من مصدر واحد فقط مع غلق جميع مخارج اخرى يجعل المنفذ بوابة للتحكم فى داخل البلد، فيجب ان يكون للناس فى مختلف انواع الوحدات سيل حر فى داخل الشعب للرسالات والمواد، وجميع تلك الاجهزة التى تسهل هذه العملية منافذ اجتماعية ومفاصل وروابط. واما التى تميل الى تقييدها فهى عوازل، فالزواج الداخلى على سبيل المثال عازل، وكذلك تحديد الوظائف على السكان المحليين نوع اخر من العوازل – يعنى مالايشجع الناس من الخارج على ان ياتوا ويسكنوا ويساهموا فى الاقتصاد. والتكلم بلغة واحدة يغلق الباب على متكلمى اللغة الاخرى.

فالمعاهد الوطنية التى تتغلغل فى مختلف الولايات والمناطق تساعد على كسر الحواجز. ولابد من الادارة المركزية من الحد من سلطتها لاجل تعزيز الانتقال بين الولايات. ويبقى كثير للعمل لرفع المواصلات. فربما يلزم وجود خطط شاملة على الاقاليم المتعددة او لتحقيق الذاتية للاقاليم فى كل نواحى النشاط. ولا يجوز لحدود تلك المناطق ان تغلب تماما، بل ينبغى لها ان تتقارن بعضها ببعض.

ويبدو ان اسلوب التفكير فى ولاية اعتبر ميدانا لسلسلة من التفاعلات المتداخلة لابد ان تبدل بفكرة تكوين مجموعات المنطقة، ليمكن تحديد المجموعات باعتبار الهجرة واللغة والنشاط

الاقتصادى، ويمكن تفهم الطلبات المتصارعه" لاعضاء المنطقه" .

بنا" الوطن ظاهرة معقدة ، ولا توضح الاجابات البسيطه" اسلوبه المعقد، ولا احد يستطيع ان يثق فى الادويه" المعروضه" لبنا" الوطن العاجل ، فانه رحله" نحو المطلوب (لكن المجهول) ، ويوجد عديد من العراقيل على طول الطريق . ويمكن ان يصدأ اعتماد وحيد على الدول الغنيه" القويه" ارادة الدول الفقيرة وتخفق مبادرتها . ومن ناحيه" اخرى ان الاعتماد المسرف على الذات يورط فى كثير من الحرمان والمعاناة مما يمكن ان يتجنب بعضها . وفى التحليل النهائى ان على الدوله" ان تختار طريق الاعتماد الذاتى والعزة دون تعذيب نفسها الغير اللازم . واما كيف يتاتى هذا، فهذا اوضحه غاندى واتباعه العمليون بسلوكهم .

فبنا" الوطن من خلال العمل كان اهم ناحيه" فى استراتيجيتهم . ويتطلب هكذا بهدم الجدران وانشاء البعض الاخر. فالعالم الخارجى موجود هنا بكل مافيه من قيمه" ورعب الذى لا يمكن انكاره اوالتغاضى عنه ، وبهذا الخصوص كيف تمارس دوله "منافذها وعوازلها ، فهذه تحدد الى مدى حيوى بنجاحها فى جهودها لبنا" الوطن .

لقد كشف غاندى الطريق للهند فى هذه الناحيه" ، فعلى الهند ان تكون بنفسها بدون اى شعور النقص او التوسع ، وفى نفس الوقت عليها ان يمتص بكل حريه" من التراث الكلى الانسانى . وعالج غاندى باسلوبه الخاص هذه المنافذ والعوازل كلها بصورة جيدة ،

دينا ميكيه" بناء الوطن

واليوم ان المهمة" اكثر تعقيدا للغاية" ولكن يبدو ان الهند بعد التخطيط والاضطراب لمدة ربع قرن ، وجدت مرة اخرى الدواء الصحيح.

تعريب د. س. عبدالله ،

نحو فلسفة مندمجة متكاملة للحرية [1]

ب.و.سوبارايابا

قال العالم البريطانى جيمس جينس فى الفلسفة الطبيعية ، الذى نال شهرة عالمية ذائعة الصيت ، بسبب اعماله البارزة الرائعة حول الاشعاع والقوى الطبيعية للنجوم والذى كان واعيا ومطلعا تمام الاطلاع على ان علم الطبيعيات لا يستطيع تفسير العالم الخارجى ومعرفة كنهه وادراك حقيقته ، قال فى كتابه الطبيعيات والفلسفة (لندن ١٩٤٣) ، " نحن لانستطيع تفسيرايه نتائج ايجابية مثبتة مثلا لانستطيع القول ان المادية ميتة ، او ان التفسير للعالم بصورة قطعية جازمة مهمل وعقيم ، وكل ما نستطيع القول هو ان القطعية والحرية والجوهر والمادية تحتاج الى تحديد وتعريف جديد فى ضوء معرفتنا الجديدة للعلوم . . . ومهما يكن من شىء تحركت وتقدمت الفلسفة الطبيعية الجديدة

(١) اى القوة النظرية للعمل الذاتى والتلقائى

الى اتجاه العقليه" فيمكن لنا القول بصعوبه" ان علم الطبيعيات الجديدة تعطى ايه" نتائج جديدة عن الماديه" والعله" والارادة الحرة ، ولكن يمكن لنا القول: قلت حاجه" تقديم الدليل على القطعيه" الآن من بعض الاعتبارات مما كان قبل خمسين عاما ماضيا . ويبدو ان هناك داعيا وسببا لأن يقدم عالم تفسيرات وتوجيهات جديدة للمسئله" ، ولا شك ان كتاب علم الطبيعيات والكيميا" للحريه" لـ كرشا شاتانيا (سومايا ١٩٧٠) فريد من نوعه فى هذ االباب ، فهو يوضح ويستعرض المسئله" بطريقه" تحمل طابع الاطلاع الواسع. ونجد فى هذا الكتاب بحثا تحليلا انتقاديا على مجال المشاكل العويصه" للمادة والحركه" والزمان والمكان والقطعيه" وغير القطعيه" ، والنظام وغير النظام ، والتطور الآلى والجمادى غير الآلى وغيرها من مسائل الطبيعيات والكيمياء وصراعها مع القوة الفطريه" للعمل الذاتى اعنى الحريه" .

وكانت مشاكل العالم الخارجى تسبب حيرة ولغزا وقلقا للفكر الانسانى منذ ان حاول الانسان التأمل والامعان فيها والتوصل الى معرفتها معرفه" علميه" دقيقه" ، وكما انه بالطريقه" العلميه" يحصل علم بالمشاهدات والمنظورات كذلك انه من الضرورى كون المراقب عالما واسع الاطلاع الذى يكون جزءا غير منفصل من عمليه" المراقبه" لفكره المنظم ونظام الآلات المعقدة التى تنطوى احساساته ودوافعه العصبيه" وغيرها من الامور القاطعه" .

وتبرز فلسفة جديدة للمعرفة العلمية، تقدم قالبا يكون حاويا وشاملا ولا يكون مانعا لمختلف العناصر التى تشكل معرفة علمية للعالم الخارجى. وان الكلمات كلها مثل الفكر، والادراك والملاحظة اوالمراقبة والنظرية او القانون، والتخمينات، والتنفيذ، والامكانية وحرية الحركات فى الزمان والمكان تجرب تجربة قاسية على شئون الذات التى تكون محورا لجميع المشاهدات وبواسطتها المعرفة نفسها. وليس ذلك كل شئ بل ان هناك مطالبة شديدة متزايدة للتقدير الجديد او وضع قوانين الفلسفة الطبيعية والكيمياء وتناقضاتها الداخلية الخفية وضعا جديدا، ويجب علينا ان نبذل جهودنا لالقاء نظرة جديدة على الصرح العلمى الذى يتحرك عليه او به الفكر الانسانى او يتفاعل ويتحرك من جديد.

وان مثل هذا المجهود المتكامل ليس سهلا باية وجوه، انه تحد كبير وهام للافكار والتصورات الانسانية. وقد تصدى كرشنا شاتانيا هذه المشكلة بجسارة وجدارة، وقدم افكارا وآراء حديثة وجديدة، ونظم حقائق كثيرة بمهارة واتقان، وقدم انطباعاته الناضجة المتكاملة، وكل من يقرأ اسماء الكتب والمخطوطات القيمة النادرة التى الحقت واضيفت فى كل باب من الأبواب التسعة ياخذ فكرة عن مدى اصالة المصنف وعمق تبصره وسعة تبحره. والمشكلة الرئيسية امام المفكر التوفيقى (الذى لا يتفق مع فكرة اسنو عن الثقافتين) هى العلاقة بين الموضوع والهدف اوالمادة

والجسم والمدرك . وهذه المشكله" لها ثلاثه" انواع اى النفسانى والعلمى والميتافيزقى او العقلى . وكذلك ان لهذه المشكله" علاقه" بما يسمى بالمادة الاساسيه" او الجوهر اى بالعنصر الميتافيزقى اللازم له .

فهل ننظر الى العالم بتجربتنا الحسيه" او بالشئ الذى هو علامه" الجوهر ، ان العلوم الجديدة بطريقتها الاستدلاليه" الاستنتاجيه" والاستقرائيه" او الوصول الى كليه" عامه" من جزئيات مختلفه" وعلاقاتها السببيه" ، والنماذج الحسابيه" والرياضيه" المجردة تمسك ايضا باهميه" جوهرالعالم الخارجى وماهيته ، ولكنها لم تستطع حتى الان الوصول حتى الى اساس كيانها . وقال العالم ادنجتون ان تصور مادة فى العالم العلمى ناقص كليه" وان العالم العلمى كثيرا ما يغير هذا التصور تغييرا يكاد يكون كليا ، اعنى ان الوظيفه" الكهربائيه" لا تجعل عاملا هاما كبيرا فوق المخلوقات الاخرى للطبيعيات . ولهذا السبب ان العالم العلمى كثيرا ما يصدمنا بكشفه اللاواقعيه" . وانه لا يقدم شيئا يرضى بحثنا وطلبنا للوصول الى نتائج ملموسه" .

ان ابحاث المستر ادنجتون عن مادة العالم او جوهره ادته الى الاعتقاد فى ان مادة العالم هى مادة العقل وان مادة العقل هذه غير مبسوطه" او منتشرة فى الزمان والمكان . وهذه نتيجه" غريبه" لجميع الشاهدات فى المكان والزمان بل واغرب من ذلك اعترافه

بانه من الصعب للعالم الطبيعى الواقعى المجرد من العواطف الذى همه تتبع الحقائق ان يقبل الرأى المقابل ان اساس كل شئ الصفه او الميزة العقليه ، ولكن لايمكن للمرء ان ينكر ان العقل هو الاول ، وانه اكثر شئ مباشر فى تجربتنا وماسواه استنتاج بعيد ويرى الفيلسوف برتراند رسل ان كلا من الكترون والمحسوسات احداث وان العالم الجسمانى المادى يتكون من هذه الاحداث. وتفسيره لطبيعه العقل الذى فحصه عالم طبيعى قيم ومهم ، ماذا يرى العالم الطبيعى اثناء فحصه عقلا لعالم طبيعى وليس فى العقل الذى يفحصه ؟ ماذا كان يوجد فى العقل اثناء قيام العالم الطبيعى بالفحص له اذا كان ميتا فلا ادعى معرفته ، ولكن اذا كان صاحب العقل حيا فكان هذا العقل يتكون من المحسوسات والافكار والاحاسيس. ولما ان عقله يتكون ايضا من الالكترون فاننا مجبرون على استنتاج ان الالكترون مجموعه الحوادث ، وهذه الالكترون اذا كانت فى عقل انسانى فمن المحتمل ان بعض الحوادث تكون ذات حالات عقليه لصاحب العقل"

ويحدد الفيلسوف رسل ان الحادث لاتوجد له اجزاء منفصله من كل واحد فى الزمان والمكان ، واكثر من ذلك يرى ان الزمان والمكان كيان للاحداث. وحاول احداث وخلق المطابقه بين العقل والجوهر بافتراض عقلى يسمى بالمادة الحياديه ، ولكن ليست المادة العقليه او المادة الحياديه حلا لمشكله العلاقه المعقدة بين

المشاهد والمشاهد .

فلاعجب اذا ان العلماء البارزين مثل ماكس بورن ونيلر بوهر ، وونرهنس برغ مقتنعون من ان اتجاها داخليا يوجد دائما فى الملاحظات الجسمانيه" المؤديه" الى العلاقه" العارفه" بين العلم والمعلوم ، بين الانسان والطبيعه" ، بل ان هذا الموقف المتكامل له تناقضات داخليه" . ومن هذه الناحيه" ان التصور الهندى للعالم الخارجى يستحق اهتماما خاصا ، والميزة البارزة للمجهودات التاءمليه" الهنديه" كانت منذ زمن ويد . اكتشاف المادة او الجوهر لجميع المظاهر الكونيه" سواء كانت تتصل ذلك بضوء النظام الشمى ام بالقانون الكونى ام بالتضحيه" الكونيه" كما توجد فى كتاب ريجويدا او البرهمان المذكور فى اوبانيشادس ام بالجوهر المذكور فى نيايا واى سيسيكا انها كانت محاوله" حول تصور موحد للارض العالميه" المشتله" علىَ الانسان وغير الانسان والمخلوقات الحيه" والميته" والعالم والمعلوم . ويعتقد المفكرون الهنود فى ان المعرفه" غير المتواصله" كما توجد فى مختلف العلوم كانت حقيقه" نسبيا وقدمت علما قليلا فقط عن الامور الواقعيه" او الكونيه" . ويعتقدون فى اندماجيه" الاشياء واتصال العمليه" الفكريه" بها : وكانت رغبتهم فى رويه" العالم ككل . وجاء فى ريجويدك ماتترا ، اعط النظر لاعيننا واجسامنا لتستطيع الرؤيه" . فهل نستطيع رويه" العالم ككل ورؤيته رويه" تفصيليه" شامله" ؟ ان تصور نيايا واى سيسكا عن الجوهر سهم

ايضا فى ضوء التاريخ للافكار العلميه ، ويتلاحم التصور الشامل نفسه مع الاشياء المتناهيه والماديه والاشياء غير الماديه المتنزه عن المكان التى توجد فى كل حيز و (اكاش) والفضاء والزمان و النفس (اتما) والعقل (ماناس) . والذات الموجود فى كل مكان ، والعقل اللذان يدعمان ويغذيان فكرة الذات وفقا لنياياواى سيسكا اساسيان لكل التجربات . وعلاوة على ذلك ان مادة العالم وجوهره اساس للصفات والملكات الملفوظه والسجايا المراعيه والفكرة واضرابها . وبعبارة اخرى بينما ان المجموعه والوحدة الكامله واقعيه ان الاكثريه والتعدد واضحه جليه .

وباعتبار الحريه اكدت نظم كثيرة للفكر الهندى ان النفس والعقل يعرضانها بشدة ووضوح . ومثل هذه الاضطرارات فى طبيعتها مثل الاطياف والاشباح . وتبدو فى تحليلاتها النهائيه مثل التموج الخفيف بل ويعترف مذهب العنصريه والجوهر الفرد لتناياواى سيسكا بان الحاله الاساسيه الاوليه والاصليه تتكون من الذرات الحرة التى توجد فيها الحركه الخلاقه وغير الخلاقه معا . وتشير تصور الذات الحرة ودورها فى تكوين العالم الخارجى الى انه كيف ان المفكرين الهنود تأملوا ونظروا بجد ووعى كامل فى اهميه الحريه فى عالم الجماد وعديم الحياة ايضا ، واكثر من ذلك انهم لم يتصوروا العالم قط كاله .

واختبر كرشنا شاتاينا تصور العالم كاله فى ضوء الافكار العلميه

الحديثه" وكشف بطريقة" جيدة كون نظام المادة والطاقه" والحركه" باطلا . ' وكذلك كانت مبادرة النفس التى ادت الى التنسيق والتوحيد خاطئه" ومضلله" ' وانه بعد تركيز الاهتمام على البطلان الحتمى لحدوث التغير الآلى بين العالم كنظام الآليه" والتركيب العضوى فى مجهوده لاكتشاف الصله" بين الطبيعه" والكائن وبين المادة والعقل وممتلكات المادة وقوة الحريه" . والمبادرة السببيه" التى تمتلكها والابواب الهامه" هى ' الفلسفه" الطبيعيه" للحريه" ' وقوة الارادة والارتقاء غير الالى ' ومستويات الهويه" والوحدة الذاتيه" ' وهى تثبت قدرة المؤلف الفريدة فى تشكيل وتصويغ اعقد الافكار والتصورات والنظريات وملكته الرائعه" فى اعطائها شكلا جميلا وجيدا وبديعا .

واحدى المسائل اللطيفه" الدقيقه" هى الافتراض العلمى المرخص للنظريه" الجبريه" واللاحتميه" فى المجال المادى والكيمياوى للتبصر والادراك مهما كان ضئيلا ولحريه" الوجود وللحركه" وللاشتراك والانفصال ، وللنظام وعدم النظام الذى يدار بالاضطرارات السببيه" والضغوط الزمنيه" الكثيرة .

ويقول المصنف مزيدا ' اننا نصل على مستوى الذرة ' وكذلك على مستوى التنظيم الاعلى للذرات الماديه" والنظام العصبى الانسانى الى حد لا تستطيع المشاهدة ان تتسلل الى ذلك الحد من الخارج . ولا يمكن للرؤيه" ان تتخطاه . فهل هذه هى

المصادفه المحضه التى تحكم فى هذا المسرح الداخلى المنعزل ، وفضلا عن ذلك ما هى الحريه الذاتيه او قوة الحركات الذاتيه والاجابه على هذا السؤال والاسئله المتصله بها محفوفه بالنقص اللغوى . والافتراضات الناشئه من الفكر الانسانى لابد وان تنظر فى الداخل لتكون جزءا غير محدود وموضعا من مجموع التجربه .

ويثير « كينا او بانيشاد » السؤالين التاليين : بزعامه من يتقدم الفهم والادراك الى هدفه ؟ وبزعامه من تؤدى وتنجز القوة الهامه ورئيسه الالات الداخليه عملها ؟ وهذان السؤالان موجهان نحو ادراك وفهم المركز للحريه والوحدة الذاتيه وفهم تجربتها العالميه الكليه .

وهناك مشكله اخرى متعلقه بالتطور الكيمياوى والمادى فى الزمان والمكان وهذا التطور فى مجموعتيها يحدد باجراءات متنوعه للعناصر التى تتكون منها ومن غيرها ، وان تقدير ايه مشكله منها سوف يؤدينا الى معرفه الهدف او الفلسفه الغائيه لمثل هذه الاهداف التى تكون الاجابه عليها مستحيلا وعسيرا من بعض الاعتبارات . واذا اثبتت العلوم واكدت ان دراسه الهدف فى الطبيعه لا تنسجم وتتلائم مع هدفها المصرح المنشود ، واعنى الوصف السببى للظاهرة ، فاننا حتما ومن غير شك نصل الى طريق مظلم وحالك فى العلوم . ومن ناحيه اخرى اذا درسنا النظم الاليه الحيه فاننا ندرك انها مركبه ومؤلفه من اجزاء تخدم

هدفها بوجود النظام الآلى باسره .

ان ارتقاء ونشوء النظام الآلى مجال اخر يبدو ان يكون مشروعا دائريا للطبيعيات والكيمياء والنباتيات . وفى مثل هذا المشروع تبرز مشكلتان معقدتان وتتطلبان دراسة وامعانا شديدا فى الاصل والهدف . واصل الارتقاء يتقدم ويتحول من الكيان المعلوم او الحادث ومن البسيط الى المعقد ؟ وهل يكون للارتقاء هدف معين ومرمى .

ويبدو تصور مركبات الارتقاء وعناصره فى ضوء علاقاتها العاملة حسنا ، ولكن كل خطوة فى التطور والارتقاء ليست خطوة معزولة ، ليست لها صلة فى سلسلة الاحداث ، ودوره معقد بنفس القدر الذى يحافظ على كيانه وحريته بالرغم من عمله المحدد فى العملية كلها ، وعلاوة على ذلك ماذا يكون الهدف لحريته او لعمله المحدد المعين . وكانت مسئلة الهدف او الغائية فلسفية وعلمية معا ، وبينما ان الاول اى المسئلة الفلسفية ترفع الهدف بطريقة مقتعلة الى مستوى العلة النهائية يحاول الثانى اى المسئلة العلمية تقدير الهدف فى ديناميكيته الكيانية ، ومع ذلك لا يكون بناء النظام الالى بناء منقطعا غير مستمر ، لان التوقف والانقطاع الظاهرى نتيجة لموقفنا التحليل لعدم الاستمرار لانه يقف مقابل الاستمرار والتسلسل ، وانه ليس نتيجة للالية الفردية فحسب ، بل وكذلك لتدفق النظم الآلية باسرها .

ويبدو انه يوجد فى كل تركيب عضوى او كائن وجسم علاقتان ملائمتان ومؤتلفتان اعنى :

(١) الحالات الاليه العضويه التى يوجد بسببها ذلك الكائن ،

(٢) والهويه الذاتيه للكائن فى عمله فى تلك الحالات .

وتعنى الملائمه حدوث التطور فى ذلك الكائن وعدم الملائمه حدوث التلاشى والفناء ، ويكون للكائن فى وحدته الذاتيه وعمله او خلافه لبعض الحريات أو يكون له فى حالة نظام عضوى مدركى ارادة حرة وعنصر بسيط محيط كل شئ قادر .

وقد بين كرشنا شاتانيا هذه المشاكل والمشاكل الاخرى المتصله بها وقطع سفرا جديدا نحو فلسفه مندمجه متكامله للعالم الظاهرى المادى والعامل المطلع والمحرك العالم . ولاحظ نشاطات فى مسرح المكان والزمان وطبيعه الارادة الحرة فى علاقاتها معها .

وفيما يتعلق بفلسفه الطبيعه الجديدة بعد جيمس جينس يستطيع المرأ ان يستدل على انه بينما تسد الطبيعيات الكلاسيكيه الباب المؤدى الى نوع من الحريه للارادة . ان الطبيعيات الجديدة تكاد لا تسده اطلاقا . ويتبين من ذلك ان الباب يمكن فتحه عند وجود مفتاح ومقبض له .

ويمكن العثور على مثل هذا المفتاح فى مقدمات العلم لما وراء الطبيعيات ، وقال اوكتاوباز فى كتابه (التيار المتناوب طبعه وكتنج ١٩٧٣) ' من المحتمل ان يبدأ علم العقليات والعلم الالهى

فى القريب العاجل تنقيد العلوم كما انها انتقدت الاله فى الاثر القديم الماضى . وسوف يسئل العلم العقلى من نفسه هذا السؤال مثل الفلسفة القديمة ، ولكن نقطة البداية للسؤال سوف لا تكون تقليدية مثل جميع العلوم بل نقطة بداية لبدأ العلوم '

ان سؤال كرشنا شاتانيا يتعلق بالمسائل بعد العلوم ، واشار الى الطبيعة والأساس للعقليات الجديدة انه حاول بنجاح اثناء فحصه من جديد النتائج المزعجة للطبيعيات والكيمياء . 'بحث اساس جديد لحصة كل تصور' لانه يعتقد فى ان الانسان والقيم الانسانية باقية ولا يوجد اى تصور آخر فى هذا الصدد , ان عمله عمل رائدى قيادى من المذهب العقلى التوفيقى'

وفى الختام نلفت النظر الى ما كتبه لويس ممفورد فى مقاله بعنوان (مرءاة نصف القرن المتمرد ، نيويارك تايمس ١٩٥٠) ' لعلنا لاندرى الوقت المحدد الذى سوف ينتهى فيه هذا النصف الاول من القرن العشرين ، فان هذه النهاية سوف يكون حادثا روحيا لم يسجله التقويم ومع ذلك يمكننا ان نتكهن حادثا بارزا لهذه النهاية . ويمكن رؤية الانسان بكتابة قصة وقصيدة ومسرح بل كل عمل فلسفى ، وتكون هذه الرؤية واضحة جلية مثل الانسان المتكامل لعصرنا فى الالياذة او فى بروز الاشياء الغابرة الماضية ',

وقد حاول كرشنا شاتانيا رسم منظر جانبى للانسان وتخليقه والموقف العلمى ومختلف العلوم ، وبالطبع بدأ تاسيسه بالطبيعيات

ب. و. سوياراياپا

والكيمياء للحريه" ويشتمل كتابه ايضا علم النباتيات والنفسيات للحريه"، ونتطلع بلهف واشتياق واهتمام زائد الى كتابه القادم تحت الطبع حول سلسلة" موضوعها النباتيات للحريه" .

تعريب :
الدكتور معين الدين الاعظمي

دراسات عن الشعر الهندى باللغة الانجليزية

سدهير سونالكر

حتى منذ أن بدأ الهنود فى قرض الشعر وكتابة القصص باللغة الانجليزية ، كان السعى فى هذا محاطا بالأسئلة : هل يمكن ان يحيى مثل هذا العمل ؟ هل يمكن ان يؤخذ هذا العمل بجدية ؟ وهل يجب اعتباره نابعا من الأصالة الهندية او الانجليزية ؟

خلال الحكم البريطانى مع الوجود الاستعمارى فى الهند ، لأمر واقع ، كان ممكنا اعتبار بريطانيا من الناحية اللغوية والثقافية كالبلد الام لكل كاتب بالانجليزية ، وهذا فقط على الاعتبار — باخلاص او بنفاق — بأن الحكم الاستعمارى البريطانى واقع ثابت ودائم.

بظهور النضال التحريرى صارت العلاقات النفسية مع بريطانيا علاقات ثنائية وكانت الحرية التى ناضل حزب المؤتمر من أجلها هى اول حرية وجدت داخل حدود الامبراطورية فكان معنى هذه الحرية الانشقاق المتسم بالتنافس الذى اصطبغت به العلاقات مع

بريطانيا ، فأدى الى نزاع مع واقع الاستعمار ، فظهرت الثنائية التى استمرت فى هزيمة الكتاب بالانجليزية .

عند ما صار النضال عنيفا بدأ التعبير عن الشعور القومى بوضوح وبشكل أكبر باللغات الهندية ، كما بدأت المقارنة بين الآراء الهادفة الى اصلاح المجتمع الهندى و بين الآراء المعنية بالكشف عن الماضى المجيد للبلد. وقد كان لهذا أثر فى الكتابة بالانجليزية ايضا ، ذلك بسبب السجية الممتازة المجردة للجمهور ، وكان هذا الأمر فى الكتابات بالانجليزية مشوها أكثر منه فى الكتابات باللغات الهندية .

أصيبت الكتابة بالانجليزية فى الهند المستقلة بالعزلة الكبرى بالرغم من ان نمت المعرفة بالانجليزية فى البلد نموا ملحوظا وبشكل عام. فحتى السيد و. ك. غوكاك فى كتابه هذا وجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بأن الشعر الهندى — المترجم الى الانجليزية من اللغات الهندية كما أشار السيد غوكاك الى بعض الترجمات — قد ينمو ، بينما الشعر الهندى الذى قرضه الهنود رأسا باللغة الانجليزية سيستمر ويجد له قراء ومستمعين بعدد محدود .

الشئ الذى تصاب به الكتابة بصفة عامة يصاب به الشعر أيضا بصفة خاصة اذ ان تركيز الشعور كلية وبدقة هو الذى يمنح الشعر قيمته وشكله ، فهل يتحقق هذا فى الشعر بلغة اجنبية ؟

لانجد لدى السيد غوكاك الاجابة الواضحة عن هذا السؤال .

وبينما هو يبدو متشائما تماما ازاء النتيجة ، فيبدو أيضا مائلا الى اثبات انه لايحتاج فى الواقع الى التشاؤم بها. وهذا وحده يستطيع الكشف عن عدم المعرفة له بالشعراء مثل دوم موريس ، وعادل جوسا والا ، ونسيم ايزيكيل ، كما يكشف هذا عن عدم تركيزه على الدراسة التفصيلية عن اوروبندوغوش و من موهن غوش و سروجنى نائدو. وليس هذا الا محاولة لتلويث الحقيقة بأن هناك صراعا عنيفا ولا يوجد له الحل السهل متيسرا.

فوق ذلك يبدو السيد غوكاك متأثرا بشكل كبير بشعر اوروبندو فحاول فى كتابه هذا فى الاشادة بقصيدته الفخمة 'سافيترى' بالنقد التقديرى الجدى من ذلك النوع الذى يتمتع به 'المقامة لأربعة مغنيين' لـ 'تى. سى. ايليوت' .

والحق ان اوروبندوغوش قد قام بالمحاولة الجدية لمزج المجهودات فى الفلسفة الهندية بالنفوذ العلمانى فى الغرب المعاصر ، غير انه مهما كان الشعر عميقا وحديثا فى الشكل فهو مازال رمزيا وغير مرتبط بالعالم الواقعى الذى يعيش فيه الشاعر وبالتأكيد ليس من اللازم الاصرار بأن للهنود اتجاها صوفيا أكثر من اللازم فلا حاجة هناك لاضافة شىء الى التقليد ذى الحلم .

لقد تناول السيد غوكاك نقد السيد بى . لال المحطم للصور الدينية على اوروبندو ، فيبدو انه يكن الازدراء به بشكل كبير . وقد يكون ان السيد غوكاك ينتمى الى جيل آخر ، فبينما أنا

لا اوافق كليا على ثرثرة السيد بى . لال ، لا استطيع أيضا المشاركه مع السيد غوكاك فى شعوره بالشعراء القدماء مثل شيلى وبيرون أو فى شعوره بالشعر الصوفى لأوروبندو .

توجد عن سروجينى خطه محكمه حقيقيه بشكل أكبر ، غير أن مهارتها الفائقه — التى يشيد بها السيد غوكاك — فى الواقع مضنيه ، وانهماكها فى نفسها أيضا شىء متساهل وسطحى ، فلا يمكن ان يكون شيئا ملحوظا ولو بشكل غير مباشر . ويكفينا الابيات التاليه مثلا لما نقوله :

انك تمسك كأس الخمر بأطراف أصابعك .
وترفعه بخفه الى شفاه غير مباليه .
لقد شربت بهدوء فرميت القدح بعيدا
وا اسفاه ، كان ذلك روحى أنا .
على أنا أن احمل رايه الاغنيات
حيث يحمل القلوب الشجعان سيوف المعركه .

ويبدو ' من موهن غوش ' متشائما غير مفدى ، الا انه بالرغم من أسلوبه البليغ نقل الألم المعترف به بصورة كبرى ، وذلك نتيجه لجدته الكبرى البالغه فهو يقول فى قصيدته بعنوان ' لندن ' :

كيف يكون حلوا الورق المجهرل الذى يغنى فى غابه الحياة ، والنهايه والطبيعه والهمسات. هل استطيع التحدث الى الاوراق او الوقوع فى الحب مع النسيم ؟

ايتها الأغصان الجميلة ! ان ظلكن لا يستطيع ان يسكن ويهدىء كرب الانسان هذه هى 'لندن' وأنا اضطجع وأفتل فى اعماق جذور الاشياء .

يبدو أن تقسيم السيد غوكاك الشعر بين الشعر الباطنى الانعكاسى - الشعر الرمزى وبين الشعر الفلسفى، هو تقسيم مصطنع ، والسيد غوكاك لم يهتم بالدراسة التفصيلية فى المجهودات الفردية فى الشعر الذى درسه فى كتابه هذا .

مع كل هذه الاشياء ، فالانجليزية لاتزال بالنسبة للهنود لغة اجنبية ، فلا بد ان يظهر الاستعمال المفكك او الخاطئ حتى فى أعمال الكتاب الكبار الممتازين .

لقد درس السيد غوكاك بالتفصيل بعض الاعمال الرديئة المطبوعة فى فصل بعنوان ' الاخفاقات فى الشعر الهندى بالانجليزية وتعرض هنا بعض النماذج المضحكة :

أيتها السيدة الجميلة ، اللطيفة ،
أنت فخورة بالجمال المثالى
غير ان الجمال يتوقف بشكل اكبر على الشعر
الشعر المصقول بزيت الجوز الهندى .

وفى قصيدة بعنوان ' عيد الميلاد للمسيح ، فالشاعر فيها منجرف بسبب الافتقار فى معرفته باللغة ، فهو يقول :

هذا بالطبع يوم ذهبى

سدهتر سونالكر

يوم ذهبى .....
فهو يملأنا ببهجة وسرور،
دعنا نكن أحرارا
كنفوس حية
فلكل مسيح ،
هنا وهناك .

ويقول الشاعر فى القصيدة بطريقة مزيقة : ان هو مغزى كل شئ ، وان كل شئ آخر يرمز بساطة الى الاختلاف فى الشكل . فيستطيع احد ملاحظة عدم معرفة الشاعر كلية باللغة الانجليزية .

فمن الصعب فهم تعليق السيد غوكاك ' هناك معقولية فى هذه القطة ، فالاسف انه بدلا ان نجد القطه فى الاحجار نجد الاحجار فى القطات ، وهذا يجعلنا نستغرب ونتسأل ما اذا كان فى الهند احد يعرف استعمال الانجليزية بحال من الاحوال .

سدهير سونالكر

تعريب : عبدالحق ـ شجاعت على

استعراض الكتب

"راسيک بريا" لكيشو داس

ترجمه الى الشعر الانجليزى. ک. ب. بهادر موتى لال بنارسى داس،

الصفحات ٢٤٨، الثمن ٤٥ روبيه.

هذه تحفه ادبيه لشخص شهير، وهى تمرين للغموض، وسجيه للحب الالهى او الدنس، انها تظهر بعيدة عن روح ايامنا الساذجه، ولو ان سجايا الحب التى يعبر عنها "راسيك بريا" عاطفيه ووجدانيه فانها صارت قابله لليقين بقدر ماهى جسديه ونقلت عن طريق جسديه للذات البشرى كله. ان استجابه الجسم هذا غريب لنا نحن خلفاء الارض الروحيين، وعلى كل حال فما لاشك فيه ان ارتيابنا ورفضنا واشمئزازنا الكل تقريبا للذات البشرى كان كارثه على الفنون الهنديه. وبينما كان القوم مستمرا فى اظهار ابتهاجه بآرائه القديمه الذاتيه نحن الطبقه الوسطى الممتازة اصبحنا ممتنعى التعبير،

ومفتخرين بالاحتشام المتطرف ولو حدثنا شيئا فهو الحيلة النفسية.

ولذلك فان تجارب الحب فى فترة من الزمن صارت غريبة لطبائعنا عاطفيا وفكريا. ان الذى قد ترك لنا لم يكن سوى العاطفة العائلية او الميل البشرى لولاء الاسرة، ووراء هذين لم يكن هناك شئ ثالث، فلا غرابة فى ان الاحداث فى 'راسيك بريا' او مايتعلق بـ 'غيتا غروندا' تاليف 'جى ديو' يجعلنا ان تحمر وجوهنا خجلا او نضحك ضحكا مكبوتا. ان الروح التى بها نعاملها هى الابتسامة المتكلفة. هذا الذى وقع، والا ففى تلك الايام الفارغة شديد الفراغ كان من الصعب ان يمجد الشاعر الجسد واحساساته وحيويته، ويحتفل بالنكهة والغيم والاشجار والزهور ويتمتع بالطيور والبهائم، كان ذلك كله من الحب الدنس المزعوم، اذا كانت الايدى الغير الخبيرة تتصرف برموز هذه التجربة الى الابتذال، فان التعبير عن الحب الالهى الشديد فى الايدى المماثلة تتجه الى الغموض مسرفة فى التعبير عن العاطفة. اننا وجدنا زخرفة مفرطة ومغقدة ومفصلة تفصيلا مركزا من جانب واحد، ومن جانب آخر ضبابته حيث يمكن اختراقها بسرعة — للوصول الى اى نوع من الصدق الممكن فى اولى مراحل التطور — بالايجابية المنطقية الجراحية او بالتجربة اللغوية.

وفى تاليف كيشو داس هنا ايضا تشديد للتفاصيل، فان طبيعة بهكتى (الخدمة والعبادة) لو لم تكن مفعمة بالحيوية فانها

على الاقل توصف بالصحه". ان كيشو داس كان فى الحقيقه" من دعائم البلاط وقد وضعت اعماله مع النظر الى الحاكم . ان المسرات والمباهج التى قدمها ، ولو انها ليست اثاريه" كمثل تلك التى لتلسى داس الذى كان معاصرا له ، فانها بالعكس لاتعنى بالتفاصيل او الاطناب من اى نوع ، ولكنها فوق ذلك لم تعد من آثار الذهنيه" الاباحيه" الداعرة ، وربما يظهر الابتذال والاباحيه" من نقطه" تجد عندها المشاعر نفسها قد اغلقت ، وقد ترك الذهن فى انعزاله وتفكراته ، ولذلك توجد هنا بالتضاد تظاهرات غير عاطفيه" مليئه" بالجسديه" والدمويه" من تجارب الحياة ، انها الطبيعه" التى نبع منها كثير من الموسيقى الهنديه" والرسومات الهنديه" المصغرة ، فهناك فى كثير من الرسومات الهنديه" المصغرة كما فى الشعر لعوبيه" مثلما نجد فى اعمال كيشو داس والتى نتجت من الرسوم البيولوجيه" التى تصور المشاهد من الحياة اليوميه" ، من تصوير الحب الجنسى فى الايام الاخيرة . ان الا عمال الاولى لم تكن جادة بالشدة ابدا كما لم تقدم نفسه ابدا للاشمئزاز او للاثم فهل كان موقف الاخير شيئا اجنبيا مستوردا على الاراضى الهنديه" وانه فى الوقت الحاضر من الشواهد الكبيرة .

ولايمكن ان يرجع تماما رجانا للرسائل ولعاداتنا الى اسلوب 'راسيك بريا' لافى الحياة الواقعيه" ولافى حياة التخيل . ان الحياة الاجتماعيه" والتقاليد العاديه" قد تغير كثيرا لذلك ، اننا قد حملنا ،

طوعا اوكرها ، بشعور بالمسئوليه" الاجتماعية" وظلمنا بضيق من القلق والحصر النفسى الذى لانجد له آثارا فى الازمنه" الاخرى . وعلينا الحب بحكم الظروف ، على نحو غير مباشر ، ولو ان الواقعيه" الغير الناضجه" لايامنا بعيد ، بعيد عن التفاهه" وعديم الحيويه" ، ولكنه فى احسن احواله موجه الى فرد واحد ، وانه ربما يكون تاملا وتفكرا نحو تجارب الانسجام والتناسق والوئام والاتحاد ، وانفعال الروح الذى هيئ عند طرف الاقدار فى تسجيله لمجانسه" الروح . ان هذه الروح للتفوق النفسى غير موجود فى اعمال كيشوداس ، لكنه اقل وضوحا ، وضمنى اكثر منه واضحا . ان لحظه" الاتحاد خلال العمر كبر وتوسع فى اعماله ، وكلمه" الحب كان مكتوبا بخط كبير ولذلك نرى ان وجود الكابه" الاخرى للحقائق ، مثل الرقابه" العاديه" ، قد دفع فى الخلفيه" . ان تجارب حياتنا فى تغايرها كانت محتشدة كثيرا ، ولايدل ذلك بالوجوب على انها اكثر قيمه" ، ولذلك فنحن نكتشف ان الباروكى لراسيك بريا كان للدخلاء اكثر منه للمشتركين . ان سلوكنا فى الحياة اصبح ساذجا بالضرورة ، وعلى الاقل خارجيا ، وينعكس ذلك فى رسومنا وايضا فى كتاباتنا ، كان ذلك من ناحيه" اخرى فى الايام البطيئه" التى ذهبت ، لسنا فى حاجه" الى اضافتها .

ان المترجم ك . ب . بهادر بصرف النظر عن تقديمه طريقه" العزف والغناء المقتدرة (مع انه فى الوقت الحاضر قديم جدا) لمتن كيشو داس قد جهز وحضر تعقيبات شاملة" على الشعر الهندى

المعاصر لراسيك باريا ، ان ملحوظاته وفهارسه كاملة في نفس الوقت متقدما في تفاصيل الفكرة العامة عن 'نائكه' بقدر ما يمكن في تشكيلات صيغ الشعر الذى يعالجه. ان ك . ب . بهادر كان مثابرا ورقيقا ، ولم يكن الا محققا له منزلته الخاصة الذى كان يامل ان يجد عنها في الوقائع والتوكيدات. ان الترجمة ، مع امكان ان يفكر في انها مكثرة في الغلو وفي الفن البلاغي ، فانها تجدد بتبصرات لاتحصى في الحوافز البشرية ، وايضا المزاج لاينقص المجال الذى يمكن ان يفكر في ان يعطى ويقدم التأوهات والتألمات .

والخلاصة انه تبويب للانفعالات والحوافز بواسطة وسيط من التفكير المستغرق الشامل الذى ليس أقل من ان يكون علميا مثل بعض الآداب القديمة الاخرى في الهند ، وان المعالجة نفسها يأتي الى الذهن بالبهجة .

كيشو ملك

تعريب : الدكتور مهدى الانصارى

كتاب : راماين فالميكى
كاتب : وى سيتا رامياه
حجم : ١٨٦ صفحة
طابع : الاكاديمية الأدبية ، نيو دلهى
ثمن : ٨ روبية .

أليس من المفهوم ان الاحتفال السنوى بتلاوة ' راماين ' يحير المرء لحد ما ، إذ انه فى الهند الحديثة التى اصبحت معظمها عارية تقريبا من المبادئ الفعالية . فان رسالة الملحمة ، تلاوة كانت او تمثيلا ، يبدو مكانها فى غير محلها ، وان كثيرا من الوقت والطاقة البشرية تضاع على قراءة وتمثيل حكاية الزهد دون ان يسفر ذلك عن فائدة اجتماعية . اين شعر الرأفة فى هذا الزهد ؟ يسأل المرء نفسه . هذا الاعتقاد الضال عن الملحمة العظيمة الهندية مبنى على اصحاب مدرسة اللورد مكالى بان القانون الاجتماعى ' لراماين ' ليس له قيمة واقعية فى الوقت الحاضر ، يسأل هؤلاء انفسهم ، اين النساء اللاتى يتابعن قدوة سيتا واين الرجال الذين يحذون حذو الادوار الاخرى للملحمة ؟ يبدو ان تلك الادوار لم تعد قادرة على اثارة عواطف المتفرج الهندى كى ينقادوا لها

بصفة لائقة. ويبدو ان راوانا (ممثل الشر) يستولى على الجميع. لاشك ان هذه نظرة تهكمية فى الأمور.

لكن ثمة انتقاد يتصف بشئ من الصحة لاخلاق الشعب التى عرضت فى 'رامايين' وينتج عن الشعور بان القانون الاجتماعى المبنى على تصور القبيلة والنسل والعنصر لايتجاوز عن الطابع القديم المهجور. وعندما تهبط اخلاق رامايين من مستواها العالى فتهبط الى مستوى قانون السن بالسن. وهذا مايثير الشك فى ذهن المرء بشأن لباقة رامايين باعلى الاخلاق والولاء للفرد والوقت. ولو ان اليقظة الاخلاقية الجديدة لم تنتقل من الفكر الى العمل لكنها راسخة فى الضمير، تسبب نوعا من الموانع فى سبيل التكرس الكلى لبعض مثل رامايين. يظهر ان القوانين المستنيرة للبلاد والاجراءات القضائية هى اقل تاديبا وعقوبة لكنها رغما من ذلك اكثر فعالية فى ازالة الجرائم. لكنه فيما يتعلق بنقيض هذه القوانين فيميل جماهير الناس الى معاقبة المجرمين وعدم العفو عنهم. ويبرز من هذا سؤال طبيعى: هل يحذو هذا حذو مبادئ رامايين ياترى؟

ثمة مجتمع آخر اكثر تشربا بالآراء والافكار، شهد اخلاق المسيح الذى يعلم بان الاشرار لايعاقبون دائما، لكن الأبرار يتعرضون للمعاناة الجسدية على ايدى الاقرباء وغيرهم. ان تمثال المسيح لاجتياز النفس يبدو وكأنه يرد اكثر بشئ على مطالب البيئة الانسانية او على الا قل البيئة التى تواجهنا بجميع عرفاننا عن

القرون الغابرة من الابحاث الجسديه والمعنويه. ليس المسيح رغم جميع مظاهره غير الانسانيه الا بشرا ومواطنا محروما من الحمايه ، بسيط القلب كثير الوجدان والتبصر فى الحقيقه الانسانيه وغير مشوش بالسفسطه العقليه . لم يدركه الانسان العاقل ، وحتى ان الاله الأب لم يستنقذه جسديا. يرد المسيح على الاثم بالاقناع وليس بالمعاقبه الجسديه او القوة العسكريه وبقوة الالفاظ فقط . يحاول المسيح ازاله الذنب والعدوان . لاينتقم شخصيا ويعمل فقط ضد الانتهاك لحرمه البشر . ان الحب بالنسبه له مبدأ فائق. وان حب الانسان لأخيه هو قوة تمكنه من تحمل الاحزان من اجل الأخير.

اما فيما يتعلق باخلاق ’رام‘ فانه يحترم قانون الأبوين وكرامه الدوله العادله. انه عار من المطامح الذاتيه لكن اطار الخلق الذى يعمل فيه هو محاط بالاضداد. له ثقافه لم يواجه فيها الافراد المثاليون تناقض المبادى بل واجهوا التناقض الوحيد بين الادنى والاعلى. وان نزعه مستمرة وصبورة لقمع الدوافع الفطريه طبقا للمبادئ المنظمه هى خلاصه راماين ومغزاه. فضلا عن ذلك فان سراح سيتاراميا‌ه لمؤلف فالميكى يلقى اضوا‌ء ساطعه على شخصيه ’رام‘ وهى متصفه بالصبر والاناة والكرامه والرحمه. ومع ذلك فانه لايجد موقفا يتهمس فيه عن الاخلاق التقليديه. يتفكر كثيرا فى النواحى الميتافيزيقيه للوقت والموت. لكن الانطوا‌ء

الذاتى الذى يتوقف عليه جمع التطور البشرى لم يدخل فى اطاره الخلقى. لكن السؤال الاكثر تعقيدا بالنسبة لنا اليوم هو عن الافراد المؤمنين وغير المؤمنين بالقيم الاخلاقية. ان هذا السؤال هو الذى اقام مسرحا للمسرحية غير الانسانية للحروب ويساعد على الافراج عن النزعة القديمة المظلمة. ان هذا التحديد الى جانب الكونية فى ' راماين ' الذى الفه فالميكى يبدو فى شرح الكاتب كمخزن غنى للتجارب الروحية المليئة بالسخريات الانسانية ومتصفا بحذاقة اكثر بكثير من التصور الشعبى عن ذلك.

ان رام هو تمثال لبطل او لملك او لحاكم يتصف شخصيته بضمير كامل النمو ومؤدب بنفسه ومحترم ومنقاد وجواد لايثأر بمجرد العواطف الحامة.

عندما نطالع شرح ' راماين ' للكاتب سيتارامياه يظهر على اعيننا ما من قوة شعرية عظيمة كان يتمتع بها فالميكى. ثمة ادوار تمثل نظاما منسجما ومستقيما كما انها تثار بالحوافز المحمودة وان هذه الادوار تقرر مصيرها بانفسها على اساس تصورها بالخطأ والصواب وانها قليلا ما تتأثر باسباب الانبساط او القوة السخيفة كما يتأثر بها ادوار العنف والشر وحتى ان الأخيرة ايضا عند فالميكى ليست عارية كليا عن مزايا الانسانية والجود والسخاء. ان ادوار فالميكى فى كل مكان اكثر ثقافة واقل وحشة من ابطال الملاحم اليونانية الذين يتأثرون كثيرا بالعواطف السخيفة. لو انهم قدعرضوا

بازياء العظمه والشرف . يسخط ابطال راماين لكن سخطهم لايزدرى بمبادئ المجتمع سوى انهم يظهرون ردود فعلهم على اهانة كبريائهم وانانيتهم . هكذا وبالرغم من المعارك الكبيرة تلازم الملحمة مزايا من حلاوة المزاج والحريه من الحقد والضغينه . صحيحا ان الادوار الصغيرة مثل مانسرا وكائيكى لاتقتصر فى العمل ؛ لكن مساوى ومحاسن تاليف فالميكى ليست ذات مستوى ادنى . يتحدث التاليف عن مجتمع واسع وان سيتارامياه يسدى خدمه جيدة بنظرتها الانتقاديه فى عمل لم يبق الا شيئا من الآثار ، فيشير الى ان العناصر الانسانيه فى هذا العمل الدائم تنقذه من الشروح الحرة التى تتلائم والمسرحيات المثيرة للعواطف . لايوجد فى عمل فالميكى اى تطرف عن الادوار كما يتصور بها الناس . تاليف فالميكى تاليف خالد مع انه اله لكن بطلا قبضته براثن القوة المؤلمه . وعناصر ما فوق الطبيعه فى عمل فالميكى ليست واضحه فى التراجم المقبوله . ليس هذا التاليف تاليفا بيانيا فحسب ، لكنه متميز بالسخريات المتناقضه والعكس على الموت والقدر والوقت .

يحتل الشعر الطبيعى فى هذا التاليف مكانا فائقا لكنه لايخلو من التبصر فى وحول الالهه والعناصر الخالدة . راماين تاليف غنائى ويجب ان يلقى النظر فيه من هذه الناحيه فقط ، من قبل العلماء المتحررين . ليس هذا ولم يكن تاليفا تقليديا وعاديا بالنسبه للطباع التقليديه ، يحمل هذا التاليف معنى الاحتفال اليومى لكنه قد حان

الوقت مرة اخرى لاقامه" الحجه" على ان هذا التاليف شعرى خالص يبعث فى النفوس نشاط الحياة . وبالنسبه" لشخص حر من القيود الخارجيه" لطائفه" وعلاقات عاديه" يوفر هذا التاليف مثل جميع الآداب العظيمه" صدق الحياة وتعليمات اخلاقيه" قيمه" . يدرب هذا التاليف على الاستقامه" وطهارة الذيل .

فى النهايه" ليس هناك تناقض بين رام والمسيح بالنسبه" لمن يوفقون بالاستماع اليهما فيساعد كلاهما المرء فى نظام اخلاق شامل . لكن فكرة نقديه" فى جميع التجارب الانسانيه" هو بمثابه" اثم ، والا فجميع القصص ، مهما كانت طيبه" ، يسمم التفكير الاخلاق .

كيشو مالك

تعريب : محمد رضا احمد صديقى

بركاش تاندن "القرن البنجابى" تشاتو ووندوس ، لندن
بركاش تاندن "ماوراء بنجاب" مطبعه" هامسن ، دلهى
الجديدة "الهند تتقدم اماما بسرعه" " من مطبوعات
يووا بهارتى .

ان هذه الكتب الثلاثه" تختلف فى مناهجها ونوعيتها وغاياتها وخصوصا الاثنان الاولان من الثالث ، فاذا اختيرت للنقد معا فانه

لسبب واحد فحسب و هو انه من خلال هذه الثلاثة يمكنك ان تحيط علما بقرن وربع قرن من تاريخ الهند الحديث وفى اخره تندهش عند معرفة الحقيقة ان الهند بينما تغيرت كثيرا جدا لكن فى بعض النواحى قليلا جدا حتى فى كثير من الا قدار الاساسة .

القرن البنجابى تاريخ اجتماعى قيم بقدر ماهو ترجمة ذاتية ممتعة القراءة ، اذا كنت محبا للاستطلاع على كيفية الحياة فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، على البيئة التى ولد ونشأ وعمل وشاكس وتزوج ومتع نفسه ثم مات فيها بنجابى فاقرأ هذا الكتاب . ان الصفات المتميزة لتلك الايام حينما دخل اول رجل انكليزى فى القرية . ان النتائج المحزونة الممرحة لمحاولاتهم الاولى لان يغرسوا فى الاذهان احساس جدارة النظام البريطانى وعجلتهم فى المحاولة بان يعطى الرجال انفسهم سمة غريبة واختيار النسوة اللاتى يجارينهم ولكن مع تفاوت ، اعياد المدينة والحوادث الا جتماعية (الولادة والخطبة والزواج والمشاجرات النسائية والموت) كل ذلك اعيد هنا مع عناية واتقان اللذان من ميزات الرجل .

ربما هناك امور مرعبة متعلق بالتقسيم ،

'حبيبى بركاش ، تعال ادركنا قبل ان يكون ذلك متأخرا جدا '

كان لذلك من عمه 'دواركا برشاد' رسالة وحيدة من تلك التى كانت موجهة من مئات وآلاف كانوا فى انزعاج مماثل ، رسالة

وحيدة الى اقرب واحد كان فى الجانب الاخر من الحدود . وقد كتب كثير الى الان عن الهجرة التى حدثت كاى تغير وانقلاب عظيم اخر وقع ، متضمنا ذلك الواقعة التى كانت احدثها واكثرها ضخامة واشكالا فى سنة ١٩٧١ — انها ستذكر فى كتب التاريخ فى لغة احصائية وليس فى معنى الكرب والتألم للذان قاساهما الشخص الذى اجتاز محنة الكابوس والذعر الشديد ولم يكن البقاء دائما من نصيبه . يذكر السيد تالذن بايجاز على سبيل الصدفة وغير منجز قرار عمه وعائلته فى الليل يشنطتين وعدد قليل من البطانيات على الطريق الرئيسى التى انضمت عليها سيارة النقل التى استقلتهم بسلسلة غير منتهية من السيارات العسكرية والمدنية وعربات تجرها الثيران وعربات الخيل واناس على ظهور الخيل ورجال على اكتاف رجال اخرى وكانت زوج العم ملقية النظر الاخير على المدينة التى كانت تحتوى ضوء الفجر الذى كان قد بدأ ينشق ، تتمنى لو تعرف "ماذا حصل لبيتها ولصوانها ولصناديقها المملوءة بالثياب ولبياضاتها ولاوعيتها ، وفوق ذلك كله ماذا جرى لجاموستها وعجليها اللتين فى الزريبة " ان حكاية المأساة تحتوى على التكرار ، ولكن اهميتها تظهر اكثر واعظم فى هدوء اللغة وتوازنها .

ماوراء بنجاب مرفوض من جانب ناقد على انه نوع من مساعى المصنف ليشجع بيع دالدا ، ولكنه اكثر من ذلك بكثير انه سجل لتلك السنوات المتقبلة حينما حاولت البريطانيا ،

ان تكون ممن يحترم وينافس ويخدم ، ثم بدأ يستجوب ويناقش واخيرا يجبر على الرحيل. ان السيد تاندن الذى قد وهب بذهن مثقف ومشاهدة جيده وذاكرة قويه و (ربما) برصارة مفيدة لتسجيل ملاحظاته عند اخر يومه ، يصف بامانة الحالة والمشاكل — انسانية اكثر منها تجارية - كما يحاول شركة انجليزية او الهنود الذين حولها ان يتكيفوا (بدرجات متباينة من الاخلاص والحماسة) بالجو المتغير. انه توظف فى قسم الاعلانات بالشركة ، ولكنه غير متأكد هل كمدير (كمايجب ان يظهر بمؤهلاته ، ومشاهرته الجذابة نسبيا ، وكانت ٣٠٠ روبية شهريا ، والعمل الذى عهد به اليه) او كاحد الموظفين (كما يظهر من صغر حجم مكتبه ومن عدم وجود الايادى فى كرسيه ، ومن عدم وجود المنشفة التى يمسح بها الفرق وعدم وجود كوب ماء مع غطاء بلاستيكى) وتنتهى التأملات فى الساعة الحادية عشرة حينما يحمل صبيان الادارة الشاى فوق الصينيات الى جميع السادة ولكن ليس اليه ، وعلى كل حال جاء اعتراف متاخرا مع الشاى فوق الصينية بعد الساعة الحادية عشرة ومع منشفة مستقلة مزخرفة فى حمام المدير.

ان الكتب ملئ بالقصص والبيانات التى تجعلك تبتسم او تضحك وتنعكس على الضعف والقوة فى الخلق الانسانى ، وكثيرون يشعرون بالام وطنية حينما يقرأون عن تلك السنوات حيث البريطانيون انفسهم كانوا مهددين بعدم القبول من جانب الهنود ، بدأوا

يقبلونهم فى بيوتهم ونواديهم وان الاستجابة الهنديه قد تعلقت بين اثار لتوقع فتح الابواب لهم ، وبين كراهية فجائية تولدت من الامتعاض من المعاملة التى لحقتهم فى السنوات الماضية . وانه يبزغ من خلال الكتاب صورة خلابة للهند اثناء الاعوام الاخيرة من العلاقات الهندية الانجليزية ، مع جميع اتجاهاتها الخفية للمودة المتبادلة ، والارتياب والشك والحساسيات الضئيلة والمخاوف والاختيار المتألم حيث ان ظلال الحرب امتدت الى آسيا وظهر التشاؤم عن مستقبل الهند حيث انها سلمت الى ' رجل جديد قوى انتقل ثالثا ولبس خادى ' (الاقمشة المصنوعة محليا) .

ان هدفا صريحا لكتاب ' الهند تتقدم اماما بسرعة ' ' هو ان يبين كيف ان ' ' المتشائمين المحترفين والتوماسين المتشككين ' اثبتوا الباطل عن الهند بتسليط الانوار على تقدم البلاد السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى خلال خمس وعشرين سنة من حدوث استقلالها وهناك بعض المساهمين الممتازين بين المقالات الثلاثين المتفردة التى جعل منها التاليف . ان الموضوعات التى عولجت تشتمل على العلاقات بين الولايات والمركز ، والحقوق الاساسية حسب الدستور الهندى ومشاكل السياسة الخارجية والدفاعية (مقالة ممتعة جدا للسيد ل. ب. مينن ، واخرى ليست فى ثقافة عالية جدا لسرجيت مان سنكه) . وتطور الفنون الجميلة والتعليم ، والمظاهر المختلفة للاقتصاد الهندى . ان الكتاب فى ثقافة عالية الى حد كبير ومع

ذلك فالواحد يجب ان يتأسف على انه لم تكن هناك مساع كافيه لتقديم صورة اكثر تماسكا عن المشاكل والا نجازات لهذه الامه.

ماذا جعل الهند تقوى بالعمل الفعال؟ ماهي ميزتها الخاصه؟ اكونها هنديه التى جعلتها ان تربط ٥٠٠ نسمه بعضها ببعض متغطيا النظر عن الديانه والتقاليد واللغه؟ كيف ان النظام الديموقراطى لم يبق حيا فحسب بل ازدهر فى امه كانت تواجه تحديات هائله بالفعل منذ صباح استقلالها؟ وكذلك حربه الصحافه والافراد او مثل عليا اخرى، التى انسدت على الواقفين على جانب الطريق فى دول كثيرة اخرى نشأت فى الاعوام الاخيرة.

ان الامر الذى يكون دائما اكثر التفاتا قبل كل شئ، لنظر المشاهد الاجنبيه هو الاستمرار فى تغير الهند، ان مصانع الفولاد والسدود قد حلت محل المعامل والقنوات الصغيرة من ايام 'القرن البنجابى' ان الكهرباء والثقافه اخذت تتغلغل فى كثير من القرى النائيه كما ان توجد فيها ملابس ترالين وترانسستور والراديو والمصارف (البنوك). ولكن كوكالائيه الهند التى تحدث عنها 'الدوس هيكسلى' لم تحدث، وبالرغم من ان الهند استمرت تكافح لتتيم جسرا فوق 'عشرات السنوات من الانقطاع الذى احدثته القرون من الجمود' فانه هناك امر قد رفض ان تتغير وذلك الامر هو مودتها وصداقتها، ولكنها لم تقف عند القيم التقليديه التى ظلت فى الماضى مصدر ايحاء وقوة لها ولغيرها ولعل

هذا هو الامر الذى سيعتبره العالم اعظم انجاز احرزته الهند .

غيتا راجن

تعريب : الدكتور مهدى الانصارى

نفسى ولسن روز

الهند وكيه والبوذيه والجينيه ، تعارف معانيها وفنها

فابر وفابر لندن ١٩٧٣ ،

الصفحات ٢٢٢ الثمن ٣٠، ١ جنيه

ان من اهم الطرق لفهم امه وقيمها وتصرفاتها ان يدرس دياناتها ، فان الدين ليس مجرد طائفه من العقائد او ايمان عقلى راسخ وانما هو ايضا مسلك للحياة .

وقد تناولت نفسى ولسن روز لفهم الشعب الشرقى ثلاث ديانات هامه ، وهى ' الهندوكيه ' و ' البوذيه ' و ' الجينيه ' انها ناقشت الديانه ' الجينيه ' مفصله مع انها شكل من اشكال البوذيه وذلك لان الجينيه ارتقت على نمط مختلف الى حد ما من البوذيه الاصليه ، انها تناولت هذه الديانات الثلاثه فى ثلاثه ابواب ، الهندوكيه فى الاول والبوذيه فى الثانى والجينيه فى الثالث.

ان الهندوكيه" موضوع يصعب جدا ان يدرك ، فان دراستها العريضه" سوف لاتظهر سوى التضادات لان رجلا هندوكيا يمكن ان يكون موحدا او مشركا وحتى يمكن ان يكون دهريا . ان فهم الهندوكيه" مازال صعبا للذهن الغربي لانها لاتلائم تصورهم لكامه" الديانه" عموما ليس لها مؤسس كما هى الحال فى المسيحيه" او فى الاسلام وليس كتاب يشتمل على الكتابات المقدسه" ، كما انها لا تقدم الوصايا او القوانين المختلفه".

يظهر ان لننسى ولسن روز تبصرا عميقا لاسلوب الحياة الاسيوى. انها تشرح فى هذا المجلد ان الهندوكيه" كيف استطاعت ان توفق بين البراهما العظيم وبين عبادة الالهه" والالاهات الغير المحدودة العدد. انها بحق فسرت واقامت علاقه" متبادله" بين المتصور الميتافيزيقى لقان ' كرما ' (العمل) ، فكرة المكافاة والعاقبه" التابعة لعقيدة التناسخ وبين انظام التفرق النسليه".

تقدم المؤلفه" مع هذه المسائل المعقدة بيانا عن الالهه" والالاهات الهامه" ، انها تحولت بالقارئ مع اهتمام عظيم ، من مظاهر الهند وكيه" الصعبه" الى المظاهر المتداوله" ، انها كانت مؤفقه" فى عرض الحقائق مثل عبادة البقر والقردة اثنا" بيانها المعتقدات الهندوكيه" الآساميه" كالروابط بين جميع الموجودات الحيه" ، وقد تعرضت المؤلفه" للمساعى التى تبذل من جانب الزعماء الهنود للتخلص من مساوئ الهندوكيه" ، وفى الباب الثانى تناولت ننسى

روز البوذيه" وبيانها البوذيه"، كالهندوكيه" يشتمل على المعتقدات الرئيسيه" للبوذيه" (المعتقدات التى تفيض من الحوادث التى حكتها المؤلفه" من حياة بوذا) وصور البوذيه" فى الاقطار المختلفه". ان القارى يعرف البوذيه" كلها بدون مشقه" لان المؤلفه" تميل بك خلال المعتقدات البوذيه" بمزج الامور البسيطه" بالامور المعقدة.

والباب الثالث يعالج "الجينيه" البوذيه"". ان المؤلفه" تعرضت لهذه الديانه" من اجل طرق تعليمها الخاصه" ومن اجل التاثير الخاص عليها للفلسفه" الجينيه" وللمكانه" التى صنعتها لنفسها فى الفكرة الغربيه" الحديثه".

انه ليس من السهل ان يقدم بيان عن الجينيه"، وذلك لان مزاجها الناقص لايهدف الى الاجابه" عن الاسئله" الميتافيزيقيه" انه تخالف شيئا مكتوبا او اى هيئه" رسميه"، ويمكن للواحد ان يسأل: كيف يمكن اذن ان يعتبر الجينيه" صفه" من البوذيه"؟ انها بوذيه" — كما او ضحت المؤلفه" بجدارة بواسطه" قصص وحكايات شتى — انه صعب جدا لأولائك الذين تثقفوا تحت تقاليد دينيه" خاصه" ان يفهموها. والفضل يرجع الى المؤلفه" لشرح هذه الفكرة الدينيه" الا مثله".

ان الديانه" ليست تدريبا عقليا وانما هى تجارب، والفن تعبير عن التجارب، ومن هنا يمكن للقارى (وقد تصدى بالكتاب القراء الغربيون اساسيا) ان يجرب الهندوكيه" والبوذيه" والجينيه"، ان

المؤلفه" اختارت رسوما من الصور التى تتعلق بهذه الديانات ، وهذه الرسوم تصور الافكار العالميه" لهذه الديانات .

ان هذا الكتاب يضيئ كما انه يحلل للقراء هذه الديانات الثلاثه" سواء كانوا من الشرق ام من الغرب .

سمن غبتا

تعريب : الدكتور مهدي انصارى

شاكتى م . جوبتا : من دائتيه الى ديوتا فى الميثولوجيا الهندوسيه" : المطبع السوسيه" ، ص ١٠٤ ، المصور ./٦٠ روبيه"

لوصفه" آريه سماجى الابوين انه من المتوقع ان رسائل البورنا ' تكون بعبعه" لهذا الناقد . وهكذا فانها هى الحقيقه"، ولكن بعض الناس نظروا اليها بنظرة الريبه" . ان غابه" الميثولوجيا التى نبتت فى الظاهر بعد عقيدة التوحيد الغير الملوثه" والدين الطبيعى ' الويدى ' بدأت تربك التباهى الثقافى للرجل ، وهذا علاوة على الرعب الحقيقى الذى يتعلق بالنظام الاجتماعى السنتانى . وهكذا لو ان الاحد دافع عن الثقافه" الهندوسيه" عقليا ضد الاسلام والمسيحيه" ولكنه مع ذلك هاجم الهندوسيه" من نفس الروح التى تحطم الصور والتماثيل الدينيه" كما لو كانت هناك الضرورة الكامنه" للبساطه" والقسوة .

ان المؤثرات الغربيه جعلت المرء ان ينظر بنظرة الخيبه الى ' البائيتون ' الخصيب مكرسا لجميع الاله والالهات الهندوسيه وبواسطه هذه العيون الغربيه المكتسبه ظهرت الاسطورة الهندوسيه غريبه عجيبه خياليه وضخمه . وبالمقارنه بدت الاسطورة اليونانيه رشيقه وواضحه والاسطورة المسيحيه ليست بتلك خارجه الضخمه مثل الهندوسيه . ولا عجب اذا لو أراد احد ان يطمس كثيرا من الماضى . ان اخبار فناء الكلاسيكيه الغربيه او العقليه العنيدة وصلتنا تدريجيا . يقال انه كان هناك اتجاها للرجوع الى ' ديونى سس '– اى الى العقل تحت العقل . وفى نفس الوقت ان الغرب المعطى له كل الديناميكيه العقليه بدأ يحقق المعنى العميق للاسطورة والرمز ، وحاول ان يتوصل الى التفاهم مع تجارب العالم الاجنبى الثقافيه التى تتعلق بالحاضر والمستقبل . وهكذا نحن ايضا وصلنا الى تجربتنا الجماعيه بنظر جديد . عندئذ وجد ان ما عدا المبالغه الجسيمه – والتى ما كانت بقليله – كان هناك كثيرا ذا قيمه فى الاساطير الاهليه .

ضعيف فى التاريخ الفنى كان العقل الهندوسى يستطيع ان يخلق القصص المعقدة ماخوذة من الحياة ، ولكنها ارتفعت الى القيمه الشعريه او الى الاخلاق ذا اهميه عالميه . ان وقائع الاسطورة الاهليه لا قيمه لها فى التاريخ ، كانت مفيدة للروح الانسانى الدينى . ولو عديمه الجدوى لباحث الحقيقه انها زخرفت

القبو العقلى للعامى ونفس الاسطورة المعقدة وضخامه" التفصيل توجد منطقيا فى الموسيقى الهنديه" والرقص والنحت وفن العمارة .

وكان اساس الاسطورة نفسها على الحياة النفسيه" . والعقلانى المتزمت يحتقرها او يتأسف عليها وان له فكرة مثاليه" تختلف عن الاخرين . وهو لا يشخص التجربه" ولاجل ذلك لا يستطيع ان يتخيلها فى حجر او فى كلمه" . ان العقل التحليلى للعقلانى له مزايا اخرى التى تختاف عن العقل التركيبى .

ان عصر ما بعد الاستقلال شاهد الاتجاهين المنفصلين: الاحيائيه" الهندوسيه" والرفض الهندوسى . وكانت الاحيائيه" تعنى قبول الماضى بالجملة" بدون النقد . والرفض كان ولايزال يرفض التقاليد الثقافيه" على حجه" انها اصبحت باليه" فى عصر العلم وفقدت معنويتها مع روح العصر الحاضر والتقدم . ولكن الآن ينشأ قبول التقاليد مع الانتقاد فى طبقه" من الناس وهم بدون انقطاع صلتهم مع الجو العالمى الحاضر مستعدون ان ينظروا — ليس كالباحثين او الانثروبولوجيين فقط ولكن كالمثقفين الجدد والرواد ، وذلك استمرار الماضى الى الحاضر وموقفهم واع ونشيط لانهم قد تحركوا عن فكرتهم القبليه" البسيطة" والقصصيه" للتكوين . والكتاب تحت المراجعه" سوف يكون نافعا لهم على وجه الضبط . فانه نافع ولو لم يفتح الرؤيه" الجديدة ، وثمنه غال قليلا . ولكنه يكفى للمتعلمين السذج كلهم .

انه يعيد الى الذاكرة السرياليه" العامه"، وامتزاج الخيال والواقعه" فيه لافت للنظر. وهذه الظاهرة ان الفلسفه" التجريديه" الهنديه" التأمليه" فى العصور الغابرة كانت بالرقه" مع الفوطبيعيه" المجازيين، فهى نوع من اللغز: الرؤوس الزائدة والاذرع المتعددة والسحر او النماذج السحريه" المستمر مع الحوادث الطبيعيه" او مع الافراد. ان الوقت والمكان ليس لهما حدودا هنا. ولا نهايه" للسذاجه". وقد دس كل هذه الخوارق على الملكيه" الساذجه". وكان اساس السلاله" نموذجا للقصص الخياليه" التى تخلق ببراعه" القلم او اللسان. النكاح وتعدد الازواج، وتعدد الزوجات والعفه" الشديدة كلها ايضا جذور هذا الخيال الذى خلق الشعر وحث التفكير فى اسرار الكون، انه يتزاحم مع الحياة وتبعا لذلك يعكس مواجها الحياة فى المجتمع.

وكان هذا عن طريق العمليه" الطبيعيه" للتطور التاريخى والاجتماعى الذى خلق العقل 'البورانى' بريتا ويهوتا وبشاشا، وزود الحياة الطبيعيه" الغريزيه" بمسكن محلى واسم. وهذا هو الذى وضع اسس الهند. فاصبح ممكنا معرفه" اسماء الناس والارياف والمدن والانهار والجبال وقممها. فاصبحت الهند لنفسها عالما ومالوفا واقيمت المعالم بالاساطير التى خلقت العالم الثقافى الخطوط الطويله" لجمعيات الذاكرة والفوترا والوصف النسبى للعوائل.

وهكذا اصبحّ قفر الوقت وبكارة المكان الجغرافى والماورائى

مسكونة" . كان هذا تكوين الهند الحقيقية". ومع ان كانت هناك 'اهناد' اخرى التى ادمجت فى هذا التكوين فى الوقت المناسب ، ولكن لا يمكن ان نتجاهل الهند الاولى ، مع كل العقولية" ، ان التجاهل بالهند الاسطورية" سوف يؤدى فقط الى تهجين المنظر الثقافى الذى لا يمكن الاقناع به .

كيشو ملك

تعريب : د . محمود الحق .